العهد القديم

كما عرفته كنيسة الإسكندرية

دار مجلة مرقس

ص ٢ تعريف الترجمة السبعينية

العهد القديم
كما عرفته كنيسة الإسكندرية

دار مجلة مرقس

كتاب: **العهد القديم كما عرفته كنيسة الإسكندرية**
ترجمة وإعداد: **رهبان دير القديس أنبا مقار**
الناشر: **دار مجلة مرقس**
الطبعة الأُولى: **١٩٩٤**
مطبعة دير القديس أنبا مقار ـ وادي النطرون
ص. ب: ٢٧٨٠ ـ القاهرة
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: **٩٤/٢٣٨٣**
رقم الإيداع الدولي: I.S.B.N. 977-5545-02-1
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة: **لدار مجلة مرقس ص. ب ٣١ شبرا - القاهرة.**
هذا الكتاب هو تجميع مقالات نشرت في مجلة مرقس أعداد:
من شهر يناير - ديسمبر ١٩٩٠، ومن شهر أكتوبر إلى ديسمبر سنة ١٩٩١.

المحتويات

تمهيد: الحالة الدينية لليهود قبل عصر الإسكندر الأكبر ٦

قيام المجمع اليهودي ٦

التدين اليهودي عقب السبي ٩

الخلفية اللاهوتية ليهود الشتات ١١

تشتت اليهود في العالم اليوناني القديم ١٤

نظام الدخلاء ١٦

الأتقياء «خائفو الله» ١٩

الفصل الأول: الجالية اليهودية في الإسكندرية ٢١

إسكندرية البطالمة ٢١

مكتبة الإسكندرية ٢٤

الجالية اليهودية في الإسكندرية ٢٥

العبادة اليهودية داخل مجامع الإسكندرية ٢٦

الفصل الثاني: الترجمة السبعينية للعهد القديم ٢٩

علاقة يهود الإسكندرية بهيكل أورشليم ٢٩

الترجمة السبعينية ٣٢

رسالة أرستياس ٣٣

العهد القديم أيام الرسل والكنيسة الأُولى ٣٧

أسفار العهد القديم في القرنين الثاني والثالث ٤٤

عداء اليهود للترجمة السبعينية ٤٦

ترجمة أكيلا ٤٨

ترجمة سيماخوس ٤٩
ترجمة ثيئودوسيون ٤٩
النص السداسي «الهكسابلا» ٥٠
النص المصري المنقَّح ٥٣
النص الأنطاكي المنقَّح ٥٥
موقف كنيسة الإسكندرية في القرن الثالث ٥٥
الموقف الكنسي في القرن الرابع ٥٨
المجموعات القانونية في الكنيسة القبطية ٦١
الفصل الثالث: أقدم البرديات والمخطوطات للترجمة السبعينية ٦٤
مغارات قمران في فلسطين ٦٤
البرديات المصرية Papyrus ٦٥
١ - المخطوطة السينائية ٦٧
٢ - المخطوطة الفاتيكانية ٦٧
٣ - المخطوطة الإسكندرية ٦٩
الفصل الرابع: الترجمة القبطية للعهد القديم ٧١
نشأة اللغة القبطية ٧١
أهمية الترجمات القبطية لدراسة نص السبعينية ٧٥
الفصل الخامس: السبعينية والترجمات العربية الحديثة للعهد القديم ٧٨
نشأة النص الماسّوري ٧٩
الفصل السادس: قانون أسفار العهد القديم شرقاً وغرباً ٨٤
القانون الإسكندري لأسفار العهد القديم ٨٤
الفوجاتا ٨٧
موقف الكنائس الإصلاحية (البروتستانتية) من أسفار الأبوكريفا ٨٩

الفصل السابع: السبعينية والموقف العلمي والكنسي المعاصر ٩٢
الموقف المعاصر للكنائس تجاه الأبوكريفا ٩٢
الموقف العلمي تجاه السبعينية ٩٣
الخاتمة: أهمية السبعينية عندنا ككنيسة قبطية ٩٦

تمهيد

الحالة الدينية لليهود

قبل عصر الإسكندر الأكبر

قيام المجمع اليهودي:

كان اليوم الأول من الشهر السابع العبري شهر تشري (سبتمبر - أكتوبر) من سنة ٤٤٥ ق.م. يوماً مشهوداً في تاريخ الشعب اليهودي. فقد اكتمل ترميم سور أورشليم المهدَّم، ورُفعت الأبواب المحروقة، واستُبدلت بمصاريع جديدة، وأُقيمت لها سقائف وأقفال وعوارض أخرى؛ وأتمَّ نحميا الرئيس ترتيب الكهنة والبوابين المرتِّلين واللاويين:

«ولمَّا استهلَّ الشهر السابع ... اجتمع كل الشعب كرجل واحد إلى الساحة التي أمام باب الماء وقالوا لعزرا الكاتب أن يأتي بسفر شريعة موسى (أي التوراة) ... أمام الجماعة من الرجال والنساء وكل فاهم ...، وقرأ فيها ... من الصباح إلى نصف النهار ... وكانت آذان كل الشعب نحو سفر الشريعة. ووقف عزرا الكاتب على منبر الخشب الذي عملوه لهذا الأمر. وفتح عزرا السفر أمام كل الشعب ... وعندما فتحه وقف كل الشعب، وبارك الرب

الإلـه العظيـم(١)، وأجـاب جميـع الشـعب: آمـين، آمـين؛ رافعـين أيديهـم، وخـرُّوا وسـجدوا لـلرب علـى وجوههـم إلى الأرض ... واللاويـون أفهمـوا الشعب الشريعة والشـعب في أمـاكنهم. وقـرأوا في السفر في شـريعة الله ببيـان وفسَّروا المعنى وأفهموهـم القـراءة.»

(نح ٧:٧٣ – ٨:٨)

في هـذه اللحظات الخالدة حيـث اجتمعـت البقيـة المقدَّسـة مـن الشـعب أمـام الله، لم يتمـالكوا أحاسيسـهم فـانفجروا بالبكـاء وهـم يسـمعون كـلام الشـريعة. ولكـن نحميـا الـوالي وعـزرا الكـاهن والكـاتب واللاويُّـون قـالوا للشعب: «هـذا اليوم مقدَّس لـلرب إلهكم. لا تنوحـوا ولا تبكـوا ... اذهبـوا كُلُوا السمين واشربوا الحلو، وابعثوا بأنصبة لِمَنْ لم يُعَدَّ لـه. لأن اليوم إنما هـو مقدَّس لسيدنا، ولا تحزنـوا، لأن فـرح الـرب هـو قوَّتكـم ... فذهـب كـل الشعب ليأكلوا ويشـربوا ... ويعملـوا فرحـاً عظيمـاً لأنهـم فهمـوا الكـلام الـذي علَّموهـم إيـاه» (نـح ٨:٩–١٢). فعـودة الإنسـان إلى الله يعبَّر عنهـا بـالفرح والتهليـل والتسـبيح(٢).

---

(١) ليذكـر القـارىء، أن قـراءة الإنجيـل في القـداس الإلهـي مـن علـى المنبر الـذي مـا زال موجـوداً في كنـائس مصر القديمـة، ووقـوف الشـعب كلـه اسـتجابة لنـداء الشـماس: «قفـوا بخـوف الله ...»، ومقدِّمـة قـراءة الإنجيـل: «مبـارك الآتـي باسـم الـرب ...»، كـل هـذا الطقـس ترجـع أصولـه إلى المشـهد الـذي ورد في سـفر نحميـا.

(٢) لعل القارىء يذكر هنا مَثَل السيد المسيح عن الابن الضال، عندما قال أبوه فرحاً بعودته: «قدِّموا العجل المسمَّن فنأكل ونفرح ... فابتدأوا يفرحون». وكان جواب الأب على احتجاج الابن الأكبر: «ينبغي أن نفرح ونسرَّ لأن أخاك هذا كـان ميِّتـاً فعـاش ...» (لـو ١٥:٢٣–٣٢). فالمشابهات اللفظية بين ما جاء في الإنجيل وما جاء في سفر نحميا توحي بمدى تـأثر القديس لوقـا الإنجيلي بالعهد القديم.

ولو تصورنا هذا المشهد بعينه، ولكن بدلاً من الساحة المكشوفة أمام بيت الماء في أورشليم، هناك مبنى مغطّى بسقف ومحاط بجدران وقد اجتمع فيه أفراد من الشعب اليهودي، فهذا هو «المجمع»؛ أو بحسب الاصطلاح اليهودي «بيتْ هَسِّفِرْ» أي «بيت الكتاب». فالمجمع ليس أكثر من اجتماع اليهود حول شريعة الله، أي أسفار موسى الخمسة: التكوين، الخروج، اللاويين، العدد، التثنية؛ ومن هذا التعريف المختصر نرى أن أصوله عريقة في القِدَم. وليس من المبالغة القول أنها تستمد جذورها من أيام موسى النبي الذي تسلّمها من الله على جبل سيناء.

والنتيجة الحتمية لالتئام الجماعة سنة ٤٤٥ ق.م في أورشليم هو أن تتعهد بالمحافظة على التوراة باعتبارها قانوناً مُلزِماً لسكنى أرض الموعد. وبذلك تقننت أسفار العهد القديم على يد عزرا الكاهن والكاتب، وتجمعت الكتابات النبوية وصارت موضوعاً للدراسة والتأمل. وتبع ذلك الاجتهاد في المحافظة عليها ومحاولة تفسير ما يظهر كأنه متناقضات فيها، وإرجاعها إلى أصولها في الشريعة والتوراة، وإيجاد الطرق الملائمة لانسجامها مع التوراة. وهكذا تدرَّب اللاويون على تفسير الشريعة بما يتواءم مع احتياجات الزمن ووقائع الحياة المعاصرة وشرح هذه القواعد للشعب وللعامة. كما نشأ مع تثبيت النص المكتوب تقليد شفاهي متواتر صار أحد خصائص التديُّن اليهودي في القرون التالية، حتى طغى في عصر السيد المسيح على المبادىء الأصلية، وكان سبباً لمؤاخذة الرب يسوع للفريسيين والكتبة كما جاء في الأصحاح الثالث والعشرين من إنجيل متى.

التديُّن اليهودي عقب السبي:

كل شعب من شعوب الأرض تربطه وتحكمه عوامل جغرافية أو تاريخية أو سياسية. أمَّا الشعب اليهودي فالذي يجمعه ليس وحدة اللغة ولا الأرض ولا الوطن، بل كتاب العهد الذي عاهدوا به الله على يد عظيم الأنبياء موسى. لذلك فكل تحركاتهم وما ينالهم من خير أو سعادة، وما يصيبهم من محن وكوارث لا بد أن يكون له تفسير من أقوال الأنبياء والأسفار المقدَّسة. فأمور معيشتهم اليومية وأحداث الحياة التافهة في نظرنا لها صدى من الوصية وكلمة الله قبل أي شيء آخر.

فالذين عادوا من السبي إلى أورشليم كان همُّهم الأول هو اكتساب رضى الله بالالتصاق الشديد بقواعد الناموس، والتدقيق الزائد في تنفيذ الإلتزام الذي وضعوه على أنفسهم. وهذا قادهم إلى تقديس الوصية والفرائض الناموسية مثل أيام السبوت والأعياد والمواسم ثم الاعتزال عن الشعوب المجاورة والغرباء وعدم مصاهرتهم إلى حد مفرط أدى بهم إلى شعور الكراهية ورفض التعاون معهم.

فالسامريون مثلاً، الذين كانوا من أسباط إسرائيل العشرة، لمَّا عرضوا على اليهود مشاركتهم في بناء الهيكل وأسوار أورشليم في عهد نحميا قائلين لهم: «نبني معكم لأننا نظيركم نطلب إلهكم ...» (عزرا ٤:٢)، رُفضوا على اعتبار أنهم أجانب عن رعوية إسرائيل وغرباء عن الإيمان الذي ورثوه عن سبطي يهوذا وبنيامين. فشعب إسرائيل مقدَّس، ولكنها قداسة محصورة في المعنى الجسدي كما يظهر من رد عزرا الكاهن: «اختلط الزرع σπέρμα المقدَّس بشعوب الأراضي»

(عـزرا ٩: ٢). ويكتـب نحميـا عـن اليهـود الذيـن صـاهروا نسـاء أشـدوديات وعمّونيـات وموآبيـات هكـذا: «فخـاصمتُهم ولعنتُهـم وضربـتُ منهـم أُناسـاً ونتفـتُ شـعورهم واسـتحلفتُهم بـا لله قـائلاً: لا تعطوا بناتكم لبنيهـم. ولا تـأخذوا مـن بنـاتهم لبنيكـم ولا لأنفسـكم» (نـح ١٣: ٢٣-٢٥). وكأنمـا القداسـة قـد صـارت شـيئاً كـالمواهب الطبيعيـة أو الخصـائص المميزة، يمكـن توارثهـا وانتقالهـا خـلال الاتصـال الجسـدي والـولادة الطبيعيـة[٣]. ولم يكـن هـذا الموقـف المتشـدد الـذي يظهـر بوضـوح في أسـفار حزقيـال وعـزرا ونحميـا، إلاَّ وسـيلةً للمحافظـة على عقيـدة هـذا الشـعب مـن التلـوث بمعتقـدات الوثنيين. ولكـن النتيجـة الطبيعية لهذا الموقـف المتشـدد هـو مـا اصطلـح عليه علمـاء الاجتمـاع باسـم «الخـوف مـن الغريـب Xenophobia»[٤].

---

(٣) يجـدر بنـا أن نقـارن بـين «الـزرع المقـدَّس» كمـا فهمـه رجـال العهـد القديـم، وبـين المفهـوم الجديـد لهـذا الـزرع بعـد أن اسـتعلن لرسـل الـرب يسـوع القصـد الإلهـي لكـل تدابـير العهـد القديـم. فـالولادة الجديـدة مـن المعموديـة يسـميها القديـس بطـرس الرسـول: «**مولوديـن** ثانيـة لا مـن **زرع** يفنـى، بـل ممـا لا يفنـى بكلمـة الله الحيـة الباقيـة إلى الأبـد» (١ بـط ١: ٢٣)، والقديـس يوحنـا الإنجيلي: «الذيـن ولـدوا ليـس مـن دم ولا مـن مشـيئة جسـد ولا مـن مشـيئة رجـل لكـن مـن الله وُلـدوا» (يـو ١: ١٣). ويعـود أيضـاً القديـس يوحنـا ويسـتعمل نفـس كلمـة عـزرا الكـاهن «الـزرع المقـدَّس» σπέρμα في مفهـوم العهـد الجديـد: «كـل مَـنْ هـو مولـود مـن الله لا يفعـل خطيـة لأن **زرعـه** σπέρμα (أي زرع الله) يثبـت فيـه ... لأنـه مولـود مـن الله» (١ يـو ٣: ٩). أي أن موهبـة «المعموديـة» بالنسـبة إلينـا هـي «زرع الله فينـا».

(٤) يتكـون هـذا المصطلـح مـن كلمتـين يونـانيتين: ξένος = غريـب، أجنبي؛ φοβία = خـوف. فيكـون معنـى «كسـينوفوبيا» هـو «الخـوف مـن الغربـاء».

الخلفية اللاهوتية ليهود الشـــتات:

رغـم اللهفـة الشـديدة الـتي تظهـر في أقـوال الأنبيـاء علـى العـودة إلى أرض الموعـد والاسـتقرار في فلسـطين والالتفـاف حـول هيكـل أورشـليم، إلاّ أن اليهـود لم يتمكنـوا مطلقـاً مـن التواجـد فيهـا بـأعداد كبـيرة لسـببين، أولهمـا تـاريخي وثانيهمـا لاهوتـي:

أولاً: تـوالي الضربـات السياسـية علـى فلسـطين منـذ القـرن الثـامن قبـل الميـلاد. فسـقوط مملكـة إسـرائيل سـنة ٧٢١ ق.م الـتي كـانت تضـم عشـرة أسـباط قـد أنهـى عليهـا، فضـاعت واختلطـت مـع الشـعوب المجـاورة وتكـوَّن منهـم شـعب السـامرة الـذي لم يعـترف بـه العـائدون في عصـر نحميا.

أمَّـا مملكـة يهـوذا، الـتي سـقطت بعـد ذلـك سـنة ٥٩٧ ق.م وسُـبيت إلى بـابل، فلـم تحـوِ سـوى سِـبطَين فقـط همـا يهـوذا وبنيـامين. والبقيـة الـتي عـادت فعـلاً إلى فلسـطين حملهـا يوحـانّـان بـن قـاريح – بعـد اغتيـال جدليـا – إلى مصـر رغمـاً عنهـا حيـث اسـتقرت في تحفنحيـس (دافـني أو تـانيس علـى بحيرة المنزلـة)، ونـوف (أي منـف)، وفـتروس (الصعيـد)، كمـا يذكـر ذلـك إرميـا النبي في الأصحـاح الرابـع والأربعـين.

لذلـك بلغـت أعـداد يهـود الشـتات أرقامـاً تفـوق عـدد العـائدين فعـلاً إلى فلسـطين الذيـن اسـتقروا فيهـا.

ثانيـاً: تشـجيع أنبيـاء السـبي، مثـل إرميـا النـبي، علـى اسـتقرارهم في البلاد التي أُسروا إليهـا: «هكـذا قـال رب الجنـود إلـه إسـرائيل لكـل السـبي (الأسـرى) الـذي سـبيته مـن أورشـليم إلى بـابل. ابنـوا بيوتـاً واسـكنوا واغرسـوا جنّـات وكلـوا ثمرهـا. خـذوا نسـاءً وَلِـدوا بنـين وبنـات ...

واكثروا هناك ولا تقلّوا. واطلبوا سلام المدينة التي سبيتكم إليها، وصلّوا لأجلها إلى الرب لأنه بسلامها يكون لكم سلام.» (إر ٢٩:٤-٧؛ ٢٤:٤-١٠؛ ٦:١١)

وسلوك اليهود الذين تغرّبوا في الشتات كان على النقيض من إخوتهم العائدين إلى فلسطين. فقد حملوا معهم إيمانهم بالوحدانية المطلقة لله؛ فإيمانهم به لم يكن باعتباره إلهاً قومياً لإسرائيل يماثل «بعل» عند البابليين و«عشتاروت» لدى الأشوريين، بل هو الله الذي ليس بجانبه أي إله آخر: «أنا الرب وليس آخر، لا إله سواي» (إش ٤٥:٥). وألوهيته تمتد على كل البشر باختلاف قومياتهم وجنسياتهم وأعراقهم، هو خالق كل البشرية، وكل نسمة في الوجود تستمد منه كيانها وحياتها. والنتيجة الطبيعية لهذا المفهوم اللاهوتي هو الشعور «بالأُخوَّة البشرية» لكل إنسان، وارتقاء الديانة اليهودية إلى مفهوم «مسكوني عالمي» بلغة عصرنا. ويظهر ذلك بأكثر وضوح في الجزء الثاني من إشعياء النبي من الأصحاح ٤٠-٦٦، حيث الدعوة صريحة لعبادة الله إله كل البشر: «لي تجثو كل ركبة يحلف كل لسان» (إش ٤٥:٢٣). بل هناك مواضع عديدة يبرز فيها الرجاء اليقيني أن الأمم الوثنية لا بد أن تكتشف ضلالها وتعترف بخطئها فتعود ساجدة لله الذي سبق وأعلن أسراره وتدابيره لإسرائيل خاصته: «سيأتي شعوب بعد، وسكان مدن كثيرة ... قائلين: لنذهب ذهاباً لنترضّى وجه الرب، ونطلب رب الجنود ... فتأتي شعوب كثيرة وأمم قوية ليطلبوا رب الجنود في أورشليم وليترضّوا وجه الرب» (زك ٨:٢٠-٢٢)، «لأنه من مشرق الشمس إلى مغربها اسمي عظيم بين الأمم، وفي كل

مكان يقرَّب لاسمي بخور وتقدمة طاهرة، لأن اسمي عظيم بين الأمم.» (ملا ١:١١)[٥]

وإن كنّا قد رأينا في الزواج المختلط بين يهود إسرائيل العائدين من بابل إلى فلسطين خطراً مُسْتَطيَراً، أنذر عنه قادتهم عزرا الكاهن ونحميا اللذان اعتبراه خيانة لإسرائيل، إلاّ أنه في المقابل وُجدت أمثلة رائعة عن زواج شخص يهودي بالموآبية «راعوث»، والسفر المسمَّى باسمها «سفر راعوث» يُعبِّر عن احتجاج صامت على الذين يمنعون الغرباء من رعوية شعب الله حتى الجيل العاشر كما جاء في التوراة (تث ٣:٢٣) أو إلى الأبد (كما جاء في نح ١:١٣). وقول راعوث لكنّتها: «شعبُكِ شعبي، وإلهُكِ إلهي» (را ١:١٦) هو اجتياز للحدود القومية الضيقة اليهودية وكَسْر ادِّعاء احتكار رعوية الله لإسرائيل فقط.

وهناك أيضاً دعوة يونان النبي من قِبَلِ الله لتبشير أمة لا تعرف يمينها من يسارها، وكيف حاول النبي أن يتهرب من المهمة الشاقة. فكان جواب الله: «أفلا أُشفق أنا على نينوى المدينة العظيمة التي يوجد فيها أكثر من اثنتي عشرة رِبْوة[٦] من الناس؟» (يون ٤:١١)

هذا الاشتياق الشديد الذي يشيع في تلك المقاطع النبوية كان مُلهِماً لكثير من يهود الشتات أن يستقروا في أماكن غربتهم التي

---

(٥) يزخر العهد القديم بآيات كثيرة تدور حول هذا المعنى، اقرأ ١ مل ٨:٤١-٤٣، إش ٢:٢-٤ التي جاءت أيضاً في ملا ٤:١-٤، إش ١٩:١٨-٢٥؛ ٤٩:٦؛ ٥٦:٣-٨، إر ٧:١٧و٢٤، صف ٣:٩، زك ١٦:١٩.

(٦) الربوة = عشرة آلاف نسمة.

تطوَّحوا إليها وينفتحون على شعوبها(٧) واثقين في التدبير الإلهي الذي أتى بهم إلى هذه البقاع المختلفة ليكونوا رسلاً لإله إسرائيل يعكسون بهاء مجده في تلك المواضع المظلمة. ويلخِّص الرابِّي «لعازر» هذه العقيدة بقوله الذي جاء في التلمود البابلي: «الله شتت اليهود ليسهِّل اهتداء الدخلاء».

تشتت اليهود في العالم اليوناني القديم:

أكبر الجاليات اليهودية التي استقرت خارج فلسطين كانت في العراق، بابل القديمة، حيث اعتبر شيوخ اليهود في بابل أنهم خلفاء «التنَّائيم»، أي واضعي التقليد الشفاهي للتوراة، والذي اصطلح على تسميته «المشنا» اليهودية. ومن بابل أيضاً خرج «التلمود»(٨) البابلي، وهو دراسة على المشنا اليهودية التي قام بها الجيل الثاني من شيوخ بابل المعروفين باسم «أموريم»(٩) أي الرواة، ناقلي الحديث، والذين يناظرهم في الإسلام أهل السُنّة أو الرواة.

وتأتي مصر في المرتبة التالية بعد يهود بابل بالنسبة لأكبر الجاليات اليهودية. والعثور على برديات محررة باللغة الأرامية، ترجع إلى القرن الخامس قبل الميلاد في جزيرة فِيَلة جنوبي مدينة أسوان، يؤكِّد وجود

---

(٧) المودة نحو الغرباء يسميها العلماء Xenophilia من الكلمتين اليونانيتين: ξενὸς = غريب؛ φιλία = مودة، محبة.

(٨) «تلمود» من الفعل العبري «لامَدْ» ومعناه: درس، تتلمذ.

(٩) «أموريم» من الفعل العبري «آمار» بمعنى: قال، روى، تحدث.

أعـداد كبـيرة منهـم منـذ عصـور مبكـرة. ولكـن لا شـك أن قيـام إمبراطوريـة إسكندر الأكـبر في حـوض البحـر الأبيض ساعد علـى توافـد أعـداد كبـيرة منهـم إلى مصـر وبـالأخص إلى مدينـة الإسـكندرية الـتي تأسست سـنة ٣٣٢ ق.م.

ومع ذلـك لا يـزال العلمـاء في حيرة بسـبب الانتشـار اليهـودي الكبـير في أقطـار البحـر الأبيـض حتـى بلغـوا أرقامـاً تفـوق اليهـود المقيمـين فعـلاً في فلسطين، إذ وصـل تعدادهـم إلى عُشْـر سـكان دول البحـر الأبيـض؛ ولا شـك أن هـذا يرجـع إلى النشـاط التبشـيري الـذي قـام بـه اليهـود في الشتات فاسـتطاعوا أن يكسـبوا دخـلاء كثـيرين. ففـي سـنة ١٣٩ ق.م أجـبرت السـلطات الرومانيـة اليهـود المقيمـين في رومـا علـى مغادرتهـا بتهمـة تدنيـس الآداب والأخـلاق الرومانيـة!! وهـي إشـارة واضحـة إلى نجـاحهم التبشـيري في الأوسـاط اليونانيـة النبيلـة في قلـب رومـا.

ولكـن أول انضمـام واسـع للديانـة اليهوديـة حـدث بـين سـنتي ١٣٠ و١٠٣ ق.م بواسـطة يوحنـا هركـانوس وأرسـتوبولس، مـن الأسـرة الحاكمـة الحشـمونية مـن نسـل المكـابيين، نتيجـة ميـل الملكـة هيللينـا – ملكـة شـعب أديـابين[١٠]، إلى اليهوديـة. ويمدنـا يوسـيفوس المـؤرخ اليهـودي[١١] في القـرن الأول الميـلادي بتفصيـل هـذا النجـاح التبشـيري وسـط شـعب بأكملـه، أن الملـك إيزاتُـس كـان يعـاني مـن صعوبـة بالغـة في

---

(١٠) اديـابين اسـم ولايـة تقـع شـرقي نهـر دجلـة عنـد نهـر الـزاب ضمـن تخـوم أشـور القديمـة، وكـانت عاصمتهـا أربيـلا.

(١١) JOSEPH., *Antiq.* XIII, 9:1,2.

قبول الديانة اليهودية بسبب طقس الختان. فالمستشارون اليهود أعطوه نصيحتين متناقضتين؛ إحداهما من حنانيا أحد شيوخ يهود الشتات أنه يمكن للإنسان التعبُّد لله دون الإلتزام بالختان، باعتبار أن عبادة الله أسمى من الختان. أمَّا أليعازر الجليلي، وكان فريسياً متزمِّتاً، فقد أصرَّ على حتمية الختان حتى يمكن احتسابه من أهل العهد. وخضع ملك أديابين لهذا الشرط القاسي واختتن. وقد بقي شعب أديابين وفيًّا لليهود حتى إن ملوكهم ناصروا الثورة اليهودية على الرومان والتي انتهت بخراب هيكل أورشليم سنة ٧٠م.

نظام الدخلاء:

كان يهود الشتات اليونانيين، كما رأينا قبلاً، واعين لامتياز عقيدتهم الدينية بالمقارنة مع آلهة الأمم الوثنية، ومتيقّنين من نجاح رسالتهم وكرازتهم وسط الشعوب المتكلمة باللغة اليونانية، حيث انتشرت مجامعهم في كل البلدان التي استوطنتها جاليات يهودية. وفي حماسهم الديني خلقوا نوعاً متكاملاً من الأدب اليوناني مستعينين في ذلك بمواد من العهد القديم نشروها تحت أسماء مستعارة لشخصيات وثنية، أشهرها كتاب «نبوات سبلة الحكيمة» الذي في صورته الحالية قد أُعيدت صياغته في قالب مسيحي. إلاَّ أن بعض أجزائه ما زالت تحتفظ بالطابع اليهودي الخالص. وفي عصر أغسطس قيصر - القرن الأول قبل الميلاد - كتب سترابو الروماني عن الشعب اليهودي أنه قد انتشر في كل البلدان ولا يخلو منه مكان في العالم. ونجاح يهود الإسكندرية في ترجمة العهد القديم إلى اللغة اليونانية، كما سنعرف فيما بعد، جعل أبواب المجامع اليهودية مفتوحة منذ القرن الثالث قبل

الميلاد أمام المتعاطفين مع اليهود حتى يمكنهم أن يفهموا القراءات والعظات التي تُلقى فيها باليونانية.

وفي الحقيقة، فإن احتكاك الديانة اليهودية بالثقافة اليونانية كشف عن حقائق مذهلة تجلَّت في الإنهيار المتوالي والمتزايد للعبادات الوثنية من ناحية؛ ومن ناحية أخرى في التقارب بين الإيمان بوحدانية الله مع الإتجاهات التَقَوِيَّة في العالم اليوناني، ونقط الالتقاء العديدة بين الأخلاقيات والمبادىء اليهودية مع الآداب اليونانية الرفيعة التي كان ينادي بها الفلاسفة الرواقيُّون الشعبيُّون. هذه العوامل قد ساعدت بلا شك على اعتقاد اليهود أن الوقت قد حان لكي يعكسوا بهاء ديانتهم أمام الوثنيين واثقين أن الله سيمنحهم فرص النجاح.

وهكذا انجذبت الذهنية اليونانية المدرَّبة على الفحص والتفتيش والنقد، بدفع من حب الاستطلاع الغريزي، إلى المجامع والمجتمعات اليهودية. فقد لفت نظرهم تقديس اليهود ليوم السبت والأعياد والمحافل الدينية، والتحفُّظ من أطعمة وأكلات معينة، ثم التزامهم بدفع نصف شاقل ضريبة سنوية لهيكل أورشليم فرضوها على أنفسهم طوعاً؛ وقيامهم برحلات الحج السنوية إلى أورشليم. أضف إلى هذا ما تميزوا به من طقوس وعوايد وغسلات وتطهيرات تمسَّكوا بها في البلاد التي تشتتوا إليها، مع ما امتازوا به من أخلاقيات العهد القديم والعلاقات المتعاطفة مع الفقراء والأيتام من بني جنسهم.

فكم من الشخصيات الوثنية استطاعت أن تجد السلام الداخلي والشبع النفسي في العقيدة اليهودية التي تسمو بالله خالق الكل والمتعالي فوق كل تشبيه أو شكل أو رمز، والذي تمتد رعايته لتشمل

الخليقة العاقلة وغير العاقلة، والذي يكافىء عبيده الصالحين ويعاقب الأشرار في الحياة الأخرى الخالدة؛ إذا ما قارنوا ذلك بأساطير الآلهة اليونانية والرومانية وأخلاقياتها المنحطة.

لذلك استطاع اللاهوت والخُلُق اليهودي أن يغزو ويكسب أنصاراً ودخلاء كثيرين حتى صارت سمة يهودية مميزة شهد لها السيد المسيح قائلاً: «تطوفون البر والبحر لتكسبوا دخيلاً واحداً» (مت ٢٣:١٥). وربما يكون هذا النشاط التبشيري سبباً لقول الشاعر الروماني الهجائي جوفينال في القرن الأول/الثاني بعد الميلاد: الأب يحفظ السبت ولا يأكل لحم الخنزير، والابن يختتن ويصير متعصباً.

وتؤكد الاكتشافات الأثرية صدق هذه الشهادات وهذا النجاح. ففي أكثر من ١٥٠ موضعاً في العالم القديم ظهرت آثار لقيام مجامع يهودية؛ في الجليل، وفي سوريا، وبلاد ما بين النهرين، وبابل، ومصر، وآسيا الصغرى، واليونان، وإيطاليا، وبلاد الغال (فرنسا)، وأسبانيا، وشمال أفريقيا. وحيثما يوجد اليهود فلا بد من بناء المجمع، حيث توصي المشنا اليهودية بقيام المجمع إذا وُجد عشرة يهود على الأقل في المكان المقترح.

الأتقياء، «خائفو الله»:

إن كان تعريف «الدخيل» هو الشخص الذي ترك الأهل والوطن والأصدقاء والأقارب وعادات آبائه وأسلافه مرتضياً أن يدخل «تحت كنف التوراة» فاختتن في لحم غرلته، إلاَّ أن التأكيد الحقيقي لم يكن على الختان بقدر ما كان على قطع الشهوات والملذات من النفس والإيمان القلبي بوحدانية الله خالق كل شيء.

لذلك التفَّ حول المجمع اليهودي مجموعات أكبر عدداً من «الدخلاء»، هم الذين ارتضوا بالديانة اليهودية مع كل التزاماتها الطقسية وتعاليمها اللاهوتية والأخلاقية، وانتظموا في حضور المجامع الأسبوعية أيام السبوت والأعياد، وحافظوا على قواعد الأكل والامتناع عن أطعمة معينة؛ لكنهم توقَّفوا عن إجراء الطقس الجراحي وهو الختان، الذي بدونه لا يعتبر الإنسان «ابن الموعد» أو بحسب المصطلح اليهودي «بِنْ بريت».

ورغم وجود مدرسة تقدمية في الفقه اليهودي تبيح عدم الختان للمنضمين إلى اليهودية كانت مبادئها شائعة أكثر بين يهود الشتات عن يهود فلسطين المحافظين، إلاَّ أن الكثير من المهتدين توقفوا عن اتخاذ هذه الخطوة. وكل ما كان مطلوباً من هذه الجماعة المتسعة هو المحافظة على بنود ووصايا عهد نوح السبعة. وتسمَّت هذه الجماعة بين يهود الشتات باسم «خائفي الله φοβούμενοι τὸν Θεὸν» أو «متقي الله σεβόμενοι τὸν Θεὸν»، وجاءت مختصرة أحياناً «الأتقياء». وأصل هذا المصطلح مأخوذ من العبرية «يِرْئي أدوناي» التي تتردد كثيراً في المزامير (١١٥: ١١و١٣؛ ١١٨: ٤؛ ١٣٥: ٢٠). هذه الجماعات المنتشرة تصادفنا كثيراً في سفر الأعمال، حيث نقرأ عن القديس بولس في كورنثوس أنه مضى إلى بيت يسطس الذي كان «متعبداً لله» (أع ١٨: ٧)، وهذ يعني أنه كان أممياً غير مختون؛ وكورنيليوس قائد الكتيبة الإيطالية في يافا كان أجنبياً أيضاً وغير مختون (أع ١٠: ٢) ومع ذلك كان تقيًّا يخاف الله. وغيرهم كثيرون في أنطاكية بيسيدية (أع ١٣: ٤٨)، وتسالونيكي (أع ١٧: ٤)، وبيريه (أع ١٧: ١٢)، وأثينا

(أع ١٧:١٧)، وكورنثوس (أع ١٨:٤). هؤلاء آمنوا بالله إله إسرائيل وواظبوا على التردد يوم السبت على المجامع لسماع التوراة وكلمة الوعظ والعزاء، وإشعال المصابيح عشية السبت (عملاً بما جاء في خر ٣٥:٣) وعمل الرحمة للأرامل والأيتام والفقراء.

والحقيقة أنه في وسط هؤلاء «الأتقياء» نجح التبشير المسيحي أكثر من يهود الشتات، حيث كان كل مختتن مُلزم أن يعمل بما جاء في التوراة (راجع غل ٥:٣). بينما السمة المميزة للمسيحية هي التحول القلبي من الأوثان إلى عبادة الله، والحياة حسب الروح وليس حسب الجسد.

الفصل الأول

الجالية اليهودية في الإسكندرية

إسكندرية البطالمة:

لمَّا أراد الإسكندر الأكبر أن يخلِّد نفسه بإقامة مدينة تحمل اسمه سنة ٣٣٢ ق.م، عهد بهذه المهمة إلى المهندس العظيم ديموكريتس الذي خططها على نمط المدن اليونانية بتقسيمها إلى مربعات ومستطيلات، بشوارع عريضة متعامدة تتسع لعبور المركبات الملكية والعربات السريعة التي تجرها الخيول المطهَّمة، وأرصفة جانبية تظللها صفوف الأعمدة الرخامية الإغريقية ذات التيجان الجميلة.

ومنذ بداية نشأتها، صارت الإسكندرية عاصمة العالم اليوناني وقتئذ ومركز التجارة العالمية. ولم يدَّخر ملوك البطالمة جهداً في سبيل تجميلها بالمباني الشاهقة والقصور الملكية التي شغلت ثُلْث مساحة المدينة. ثم قاموا بعمل طريق معبَّد يصل جزيرة «فاروس» المواجهة للساحل بالمدينة(١)، ودُعي باسم «الهبتاستاد» لتأمين ميناء السفن ضد الرياح الغربية العاتية التي تهاجم المدينة كل شتاء. وفي سنة ٢٥٠ ق.م أُقيم على طرف الجزيرة - جزيرة فاروس - منارة الإسكندرية الشهيرة، إحدى عجائب الدنيا السبع، لترتفع ما ينيف على مائة متر؛

---

(١) انظر الخريطة في الصفحة التالية.

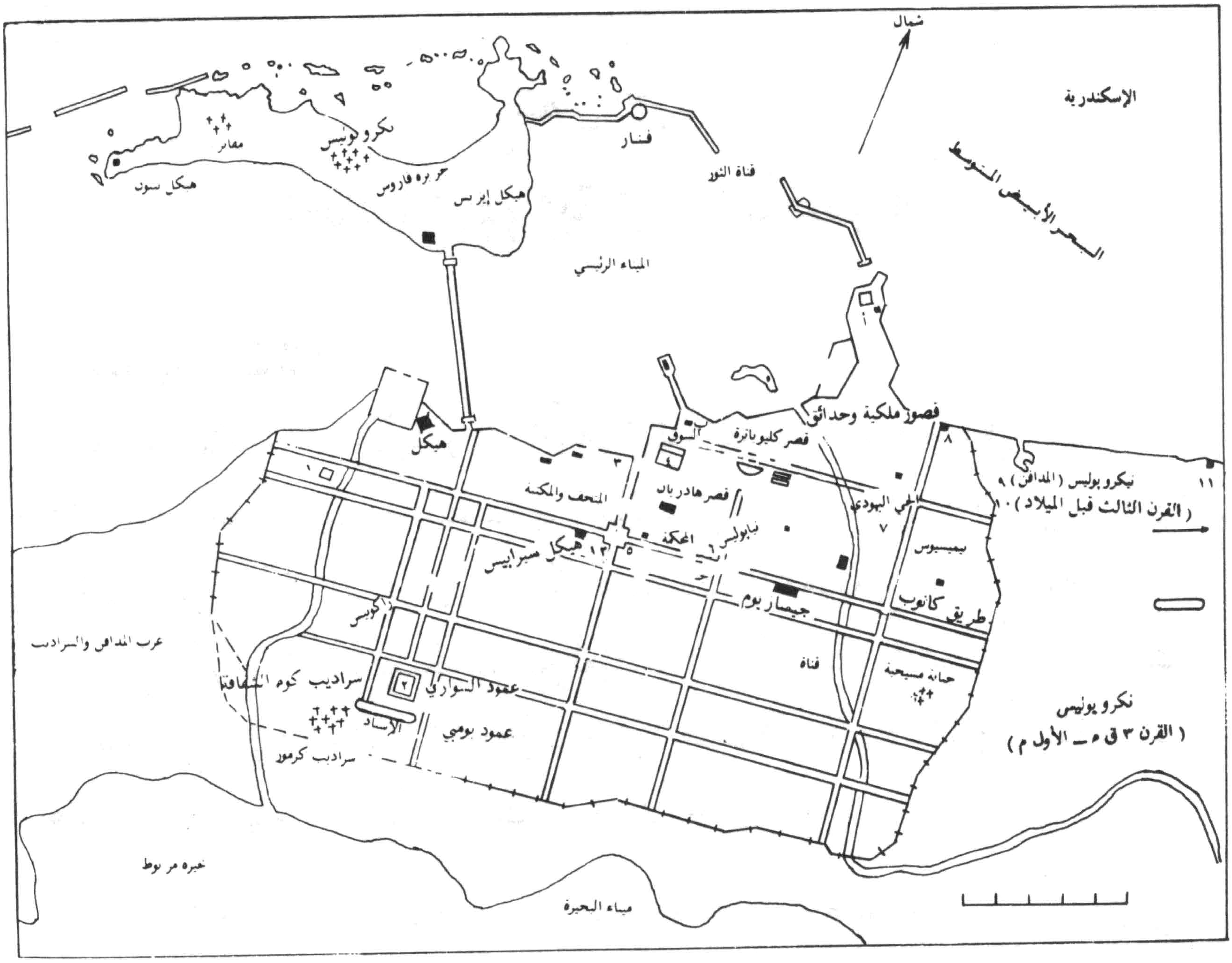

الكنائس

١. البابا ثيوناس
٢. يوحنا المعمدان
٣. البابا ديونيسيوس الكبير
٤. الكاتدرائية
٥. تترابيلون
٦. معبد ساتورن (تحول إلى كنيسة ٣١٣ـ٣٢٦)
٧. الملاك ميخائيل.
٨. بازيليكا مارمرقس.
٩. ق. العذراء
١٠. ق. ميترا
١١. هيكل ميركيناريس
أ. قصر
ب. هيكل بوسيديون
ح. هيكل الإسكندر
١٢. كنيسة القديس أثناسيوس.

كنائس غير مستعملة

ثيودوسيوس. وأركاديوس.
هونوريوس ٣٠ قبة

ق. بطرس
ق. دوروثي
ق. يوليان
ق. سيرابيون
بيربوس
وإيسيدور

مارجرجس
ق. قزماں ودميان
(بجانب السيرابيوم)
ق. فاوستوس (في الصار)
ق. فاوستوس
ق. صوفيا (في الصار)
(لم نتوصل إليه)
كنيسه من كنائس
الإسكندرية القديمة.

وظلت قائمة تؤدي مهمتها في إرشاد السفن ما يزيد على ستة عشر قرناً حتى عصر المماليك.

وإلى جانب حي «القصور» أُقيم «متحف» الإسكندرية، المعتبر أنه أول مؤسسة في العالم تختص بالبحث العلمي. فكان إنشاؤه سبباً في جذب عدد كبير من العلماء في مختلف فروع العلم والمعرفة، كلٌّ في مجال تخصصه: الهندسة، الفلك، الطب، التاريخ الطبيعي، إلى جانب الدراسات الأدبية والفلسفية والبلاغية وأصول الفصاحة والمنطق والفنون المسرحية والتراجيديا والكوميديا التي برع فيها أدباء اليونان. وكان العلماء والأدباء يعيشون تحت رعاية الأسرة المالكة، معفيِّين من الضرائب وجميع التزامات الحياة ليتفرغوا للنشاط الأدبي والعلمي والثقافي، لهم رواتب ثابتة من قِبَل خزانة الدولة ويعيشون في مساكن خاصة تكفَّلت بها الدولة.

ولم يكتف ملوك البطالمة بإعالة هذا الجيش من العلماء والأدباء، بل وضعوا تحت أيديهم وسائل عجيبة لتسهيل أبحاثهم، مثل الحديقة النباتية، حديقة الحيوان، مكتبة ضخمة بلغ تعداد ما فيها من مجلدات ومخطوطات حوالي ٧٠٠ ألف مجلَّد، اشتهرت فيما بعد باسم «مكتبة الإسكندرية»، ومكتبة ثانية صغيرة أُلحقت بمعبد السرابيوم الكبير المقام على تلة صناعية في الجزء الوطني المصري من المدينة والمعروف باسم «راكودة» (٢) كانت تحتوي على ٤٢ ألف مجلَّد.

---

(٢) في هذا الحي أُقيمت كاتدرائية القديس يوحنا المعمدان سنة ٣٩١م وما زال باقياً من آثار هذا الحي «عمود السواري» الآن بالإسكندرية.

مكتبة الإسكندرية:

أجمع العلماء على أن مؤسس مكتبة الإسكندرية ومتحفها هو بطليموس سوتير - بطليموس الأول - بناء على اقتراح ديمتريوس فاليروس وعبقريته النشيطة؛ ليكوِّنا أكاديمية علمية من الطراز الأول. إذ كان هذا الرجل عَالِماً، وفي نفس الوقت أحد رجال الدولة المرموقين. ولمّا تولّى العرش بطليموس الثاني اقتفى أثر أبيه في تجميع الكتب والمجلدات والعلماء. وهكذا توالى اهتمام من جاء بعدهما من ملوك البطالمة بالثقافة، سواء كانوا صالحين أو أردياء، حتى صارت الجامعة اليونانية بالإسكندرية هي أعظم مؤسسة علمية في ذلك الوقت.

وبسبب شهرة هذه المكتبة صارت تُصْدِر طبعات نقدية لأعمال أدباء وشعراء اليونان في عصرها الذهبي، أمثال هوميروس وأفلاطون وأرسطو، وصارت هذه الطبعات هي القياسية في العالم اليوناني والروماني وقتئذ. وبسبب احتكار الدولة لصناعة الورق - أي البردي المصري - انتقلت الفنون والآداب الكلاسيكية اليونانية إلى أوروبا، فاستنارت حضارتها بثمار ما أنتجته مكتبة الإسكندرية من دراسات نقدية ولغوية وأدبية في فنون الشعر ومسرحيات أدباء اليونان.

هذه هي مكتبة الإسكندرية في مجدها الزاهر، حتى إن أحد الدارسين المُحدثين بعدما قضى سنين طويلة يتتبع نشاطها ورجالها في عصر البطالمة كتب يقول: على وجه الإطلاق، لم يكن في مكتبة الإسكندرية أكبر وأهم مجموعة مخطوطات يونانية فقط، بل في أيام مجدها الزاهر كانت تعتبر أعظم مكتبة عرفها العالم قبل اختراع

المطابع(٣).

الجالية اليهودية في الإسكندرية:

اكتشف الإسكندر الأكبر في اليهود، عند بدء مدينته الإسكندرية، إخلاصهم وأمانتهم له. لذلك سعى إلى إحضارهم في عاصمته الجديدة ليكونوا عوناً له في التقريب بين شعوب الشرق والغرب. ومن المؤكد، بعد العثور على شقافة وكتابات أرامية في مقابر شرق وغرب المدينة، أن اليهود أقاموا فيها منذ بدء إنشائها كما كتب يوسيفوس المؤرخ اليهودي في القرن الأول. وبعد موت الإسكندر، استمر خلفاؤه في رعايتهم فازداد عددهم. فبعد أن كان الإسكندر قد أقطعهم الحي الرابع من المدينة المعروف باسم «دلتا Δ»(٤)، صار لهم في القرن الأول الميلادي حيٌّ ثان كقول الفيلسوف اليهودي الإسكندري «فيلو»، وهو منطقة «القبَّاري» حالياً. ولم ينحصروا قط في هاتين المنطقتين، بل انتشرت مصارفهم وتجارتهم وصنائعهم في طول المدينة وعرضها. وبلغ عدد يهود المدينة حوالي ١٠٠ ألف يهودي، أي ما يُقدَّر بثُمْن تعداد المدينة.

وكانوا مجتمعاً مستقلاً تعترف به الدولة وتعطيهم حق الولاية القضائية والشرعية على أعضائه وحرية التصرُّف في موارده المستقلة، وتعفيهم الدولة من الانخراط في الجندية أو الالتجاء لمحاكم الدولة لفض منازعاتهم المالية والقضائية. ويرأس هذا المجتمع «مشيخة γερουσία» على نمط المجمع الكبير في أورشليم «السنهدريم». وعلى رأس هذه

---

(٣) E.A. PARSONS; *The Alexandrian Library, Glory of the Hellenic World.* 203.

(٤) وهو المنطقة المحصورة بين طريق الحرية والكورنيش، مقابل حي «السلسلة» حالياً.

المشيخة «أرخن» هو القاضي الأعلى للجماعة وهو المسئول عن إدارتها، وله سلطان أن يجمع من أعضائها المساهمات المالية للصرف على مشروعات الجماعة الخيرية والدينية.

العبادة اليهودية داخل مجامع الإسكندرية:

رأينا أن «المجمع» هو المؤسسة التي جمعت وما زالت تجمع شمل اليهود في كل العالم، هو الذي يوحِّد مشاعرهم ويصوغها في قالب واحد. وقراءة «التوراة» هي النواة التي حولها يلتف اليهود صباح كل سبت يتعلَّمون منها كيف يسلكون تجاه الله والقريب والغريب. وكان لتغيُّر لغة اليهود بعد السبي أن رجعوا إلى فلسطين يتحدثون الأرامية لغة الشرق السرياني، بينما صارت العبرية لغة مقدَّسة قاصرة على كبار الربيين وعلى قراءة الناموس. ونتج عن ذلك أن صارت قراءة التوراة مصحوبة في فلسطين بشرح أو تعليق، جملة بجملة، بالأرامية حتى يستطيع العامة فهم ما يُقرأ عليهم؛ وبذلك تكوَّن «الترجوم الأرامي» الذي دُوِّن فيما بعد في القرن الخامس الميلادي.

أمَّا يهود الإسكندرية، بسبب تسامح الدولة معهم وإعطائهم الحرية لممارسة جميع أنشطتهم، صارت لهم اللغة اليونانية ليست ترفاً أو لغة إضافية بل هي لغة التخاطب والمتاجرة والمعاملة مع الدولة ومع أفراد الشعب المتكلمين باليونانية. وهكذا انقطعت كل علاقة بالعبرية وبالأرامية اللتين هما لغتا الأسفار وشروحاتها. وصارت الجالية اليهودية في مصر هي أكبر جاليات الشتات اليوناني في العالم وقتئذ، تعيش وسط اليونانيين وتتكلَّم اللغة اليونانية وتحظى برعاية الدولة وملوك البطالمة.

كيف يعبدون الله؟ وكيف ينتظمون في الاجتماعات؟

إذاً، فالترجمة اليونانية للعهد القديم صارت ضرورة ملزمة حتى يمكن ليهود الإسكندرية متابعة العبادة وعدم الإحساس بالغربة والحرمان منها.

ولذلك نقرأ للفيلسوف فيلو الإسكندري عن وجود عدد كبير من المجامع في أنحاء المدينة المكرسة على أسماء الحكام وأصحاب السلطة(٥) كما تقول أحد الشواهد الأثرية: «تكريماً للملك بطليموس والملكة برنيكي ... كرَّس اليهود هذا المعبد προσευχή» وهو بطليموس الثالث الذي حكم مصر بين سنتي ٢٤٦-٢٢١ ق.م.

أمَّا التلمود الأرامي فيحتفظ لنا بوصف مُدهش «للمجمع العظيم» المقام في الإسكندرية والذي خرَّبه الإمبراطور تراجان سنة ١١٧م:

«قال الرابّي يهوذا بن عالي: مَنْ لم يشاهد مجمع الإسكندرية الذي له صفوف الأعمدة المزدوجة، لم يرَ شيئاً من مجد إسرائيل. لقد أُقيم مثل بازيليكا عظيمة(٦)، صفوف من الأعمدة يتلو بعضها بعضاً. والمترددون عليه كان عددهم يوازي ضعف عدد الخارجين من مصر (في عهد موسى النبي). وكان فيه واحد وسبعون كرسياً مذهَّباً نظير الواحد والسبعين شيخاً. كل كرسي ثمنه ٢٥٠ ألف (شاقل). ويتوسطها منصة خشبية (إنبل) يقف فوقها أمين الخدمة في المجمع حاملاً في يده وشاحاً يلوِّح به عندما يتقدَّم أحد لقراءة التوراة من الرقوق. فيجيب

---

(٥) PHILO, *On Special Laws*: 20.

(٦) كلمة «بازيليكا»، لا تعني كنيسة كما هو الاسم الشائع في الأزمنة المتأخرة، بل تفيد مبنى ملكياً فاخراً.

كـل الشـعب: آمـين. ولم يكونـوا يجلسـون حيثمـا اتفـق، بـل الصيَّـاغ مـع بعضهـم، تجـار الفضـة مع بعضهـم، طـارقو الحديـد مع بعضهـم، النسَّـاجون مع بعضهـم صـانعو السـجاد مع بعضهـم. فـإذا مـا جـاء أحـد غريـب، يلتصـق مـع رفقائـه في حرفتـه(٧) ليتكسـب معيشـته(٨)».

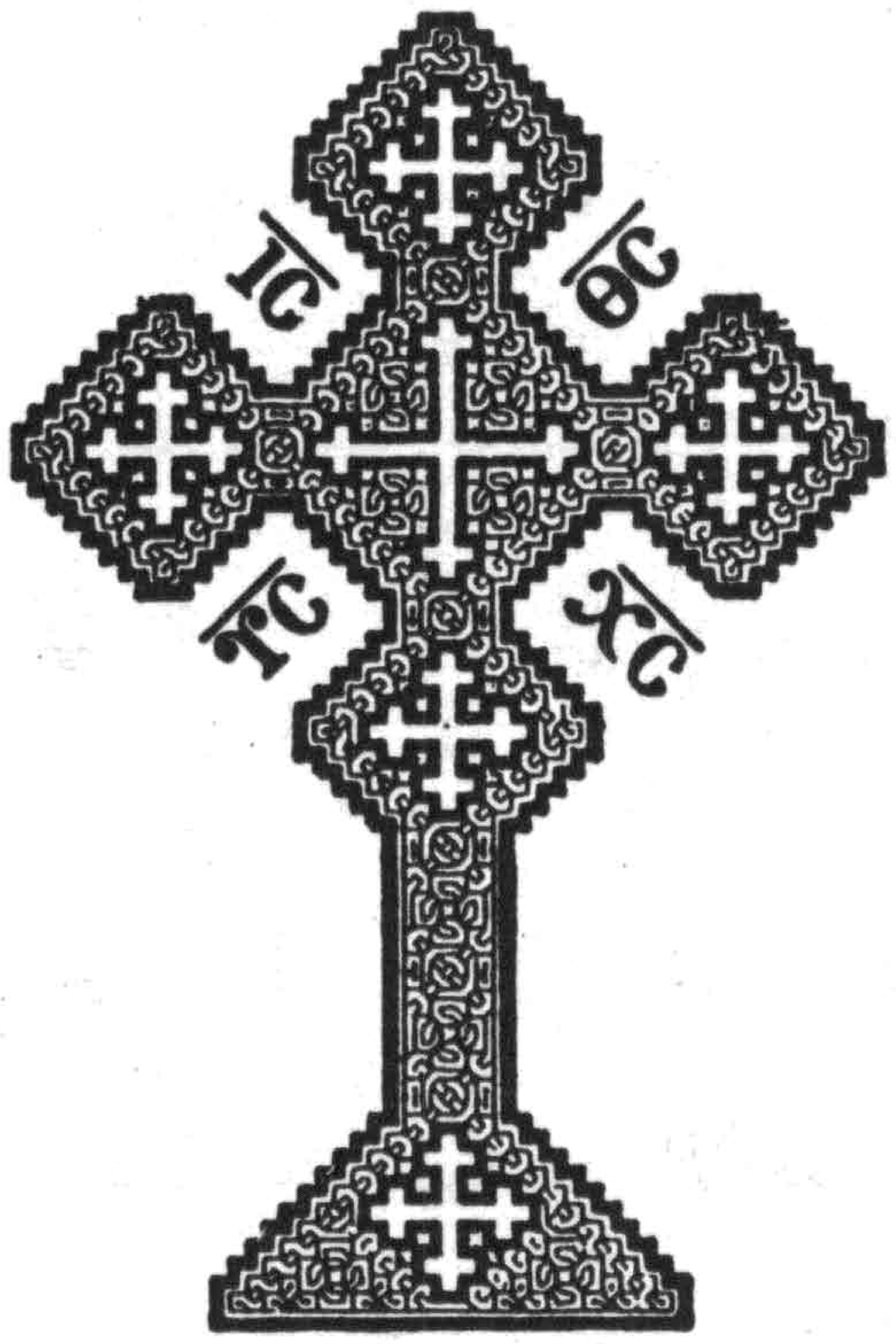

---

(٧) كمـا حـدث مـع القديـس بولـس حينمـا عمـل مع أكيـلا وبريسـكلاً لأنـه كـان مـن حرفتهمـا (أع ١٨: ٢و٣).

(٨) GOODENOUGH; *Jewish Symbols in the Greek Roman Period,* II, p. 85,86.

الفصل الثاني

الترجمة السبعينية للعهد القديم

علاقة يهود الإسكندرية بهيكل أورشليم:

لم تكن العبادة في المجمع مُنافِسة أبداً لهيكل أورشليم والتزاماته على يهود مصر؛ بل كانت في نظر الرابّيين والمعلمين بمثابة تعويض ليهود الشتات مقابل حرمانهم من الوظيفة التعليمية والقصد التَقَوي الذي يقوم به الهيكل. فلذلك كان حضور المجمع يستلزم نفس الفرائض والطقوس والآداب التي يستلزمها دخول هيكل أورشليم. بل إن الكثير من الطقوس الليتورجية التي تجرى في الهيكل أمكن ممارستها في المجمع، مثلاً صار وقت تقديم الذبيحة في الهيكل هو وقت الصلاة ورفع اليدين لله: «ليكن رفع يديَّ كذبيحة مسائية» (مز ١٤١:٢) حتى قيل إن المجمع هو هيكل مصغَّر. ويقول الترجوم الأرامي، الذي ترجع مادته إلى القرن الثاني والأول الميلادي: «أعطيتهم المجامع لتكون في المرتبة الثانية بعد هيكلي». لذلك يتساءل الفيلسوف الإسكندري فيلو اليهودي: «أتُرى توجد مؤسسة أكثر أهمية من هذا؟»(١)

فالعبادة الكهنوتية بالمذبح والقرابين في هيكل أورشليم استُبدلت

---

(١) EUSEB; *Pracp. Evang.* 8;7;14.

بالكلمة المؤيَّدة بالتقليد النبوي؛ وقيام المجامع هيأ لليهود التحرر من الالتزام بالمكان الجغرافي - أورشليم - وسدَّ الكثير من الثغرات في التركيز الليتورجي على هيكل أورشليم، كما صارت له صفة علمانية وشعبية لم تتيسر للهيكل. فليس من الضروري وجود كاهن لمباشرة خدمة المجمع؛ ومع استثناءات قليلة، كان لأي فرد من الشعب أن يقرأ، بل حتى النساء والأطفال كان مسموحاً لهم بذلك. على أنه في وجود كاهن لا بد له أن يقرأ البركات الثماني عشرة.

هل يفهم من هذه الشهادات أنه يمكن الاستغناء عن هيكل أورشليم؟

حقيقة أن المجمع استطاع أن يجمع شمل اليهود بعد انهيار عبادة الهيكل وخراب أورشليم سنة ٧٠م، ولكن قبل ذلك كانت الجالية اليهودية بالإسكندرية تنظر إلى أورشليم نظرة الابنة إلى الأُم. ورسالة أرستياس، التي سيرد ذكرها فيما بعد، ترينا كيف كان يهود مصر يوجهون أنظارهم إلى أورشليم وهيكلها ويعتبرون يهود فلسطين إخوتهم. وحينما طرد أحد حكام فلسطين الفريسيين من فلسطين هربوا إلى مصر. ويقول أحد الهاربين إلى الإسكندرية: «بالنسبة لي أورشليم هي المدينة المقدَّسة. وبالنسبة لكم الإسكندرية هي شقيقتي». وعائلات رؤساء الكهنة المقيمين في الإسكندرية كانت تحتفظ بنقاوة تسلسلها الكهنوتي إذ يمكن أن يتخرَّج منها رئيس كهنة لهيكل أورشليم مثل سمعان بن بويطس(٢). وكان يهود الإسكندرية الأغنياء

---

(٢) JOSEPH; *Antiq.* XV, 9;3.

يلتمسون تخليد أسمائهم في أورشليم بالمساهمة في تجميل هيكلها كما فعل إسكندر شقيق فيلو الفيلسوف اليهودي إذ قام بتغشية أعتاب هيكل أورشليم التسعة بالذهب(٣)، وكذلك نيكانور جلب من الإسكندرية البرونز الكورنثي لتجهيز باب الهيكل الذي حمل اسمه فيما بعد(٤)؛ وقام فيلو الإسكندري برحلة الحج إلى أورشليم، التي أوصت بها التوراة في عيد الأسابيع وخلّدها في أحد كتبه. بل وكثير من يهود الإسكندرية استقروا في أورشليم وكان لهم مجمعهم الخاص بهم (أع٦:٩). وكتاب المشنا اليهودي يذكر أن يهود الإسكندرية كانوا يُحضرون قرابينهم إلى هيكل أورشليم لترديدها بواسطة كهنة الهيكل.

وفي ختام هذه الفقرة نذكر أنه في السنوات الأُولى من المسيحية كان أكثر اليهود المتنصرين حماساً على التبشير المسيحي في الأراضي اليونانية هو يهودي إسكندريّ يُدعى أبُلُّوس، يصفه سفر الأعمال هكذا: «أبُلُّوس إسكندري الجنس، رجل فصيح مقتدر في الكتب، كان هذا خبيراً في طريق الرب وكان وهو حار بالروح يتكلّم ويعلّم بتدقيق ما يختص بالرب ... ساعد كثيراً بالنعمة الذين كانوا قد آمنوا. لأنه كان باشتداد يُفحم اليهود جهراً، مبيناً بالكتب أن يسوع هو المسيح» (أع ١٨:٢٤-٢٨)، وفي كورنثوس يشهد عنه القديس بولس شهادة طيبة: «أنا (بولس) غَرَسْتُ، وأبُلُّوس سقى. لكن الله كان يُنْمي.» (١كو ٣:٦)

---

(٣) JOSEPH; B.J. V, 5;3.

(٤) طوسيفتا يوما ٢:٤.

الترجمة السبعينية:

رأينا كيف استقرت أكبر جالية يهودية في الشتات اليوناني في مصر وفي الإسكندرية على وجه خصوصي، وكيف أن المجمع كان هو الوسيلة الفعَّالة في حفظ اليهود كطائفة تتعبَّد لله بالتفافها حول التوراة ودراستها، فكانت الخطوة التالية الحتمية هي ترجمة التوراة وباقي أسفار العهد القديم إلى اللغة اليونانية.

وقد تمَّت فعلاً هذه الترجمة في الإسكندرية ابتداء من القرن الثالث قبل الميلاد واشتهرت باسم «الترجمة السبعينية ἑβδομήκοντα». والاسم مأخوذ من الاثنين والسبعين شيخاً من يهود أورشليم الذين قاموا بترجمة خمسة أسفار موسى في عصر بطليموس الثاني فيلادلفوس (سنة ٢٨٥ – سنة٢٤٦ ق.م). ولكن لم يقتصر استعمال هذا الاسم «السبعينية» على أسفار التوراة فقط، بل اتسع ليتضمن كل أسفار العهد القديم التي تُرجمت فيما بعد من اللغة العبرية وصارت معروفة لدى الكُتَّاب المسيحيين في الكنيسة الأُولى.

ولقد بدأت هذه الترجمة في القرن الثالث قبل الميلاد وامتدت أربعة قرون لتنتهي في أوائل القرن الثاني بانضمام سفر الأمثال الذي ترجمه سيماخوس اليهودي. ففي مقدِّمة سفر «يشوع بن سيراخ» المُترجَم إلى اليونانية سنة ١١٦ ق.م يذكر أنه كان لدى يهود الإسكندرية التوراة والأنبياء وبعض الكتب الأخرى(٥)؛ والمرجَّح أن ما يعنيه من عبارة

---

(٥) راجع «القول الفاتح» لسفر يشوع بن سيراخ في كتاب «الأسفار القانونية التي حذفها البروتستانت»، إصدار كنيسة العذراء بمحرم بك بالإسكندرية سنة ١٩٥٤.

«بعض الكتب الأخرى» هي كتب المزامير وأدب الحكمة وهي آخر الأسفار التي قنّنها يهود فلسطين في القرن الثاني قبل الميلاد.

رسالة أرستياس:

هي أقدم مستند لدينا عن الترجمة اليونانية للعهد القديم، هي عمل أدبي يمزج الحقائق التاريخية مع تفاصيل روائية قصصية مُشبعة للنفس والخيال، وهذه سمة الأعمال الأدبية التاريخية في العصور القديمة. وتتلخص هذه الرسالة في العناصر التالية:

١ - كاتبها أرستياس من بلاط بطليموس فيلادلفوس يكتب لأخيه فيلوكراتس.

٢ - ديمتريوس فاليريوس أمين مكتبة الإسكندرية التي أنشأها بطليموس الأول في حي القصور Brochorium، يطلب من مليكه بطليموس الثاني توفير نسخة يونانية من أسفار اليهود، حيث اجتمع في هذه المكتبة ما ينيف على مائتي ألف مخطوط في مختلف العلوم والآداب، ولا ينقصها سوى شرائع اليهود.

٣ - أرسل الملك بعثة إلى رئيس كهنة أورشليم «ليعازر» طالباً إليه أن يبعث له بستة من مشايخ اليهود من كل سبط، متفقهين في التوراة وعارفين باللغتين العبرية واليونانية. ويذكر أرستياس في رسالته أسماءهم وأسباطهم، فحضروا حاملين معهم نسخة من التوراة مكتوبة بحروف عبرية مذهَّبة.

٤ - عند وصولهم استقبلهم الملك فوراً، وهذا بخلاف المتَّبع عامة في بلاط الملوك. وأقام لهم ولائم لمدة ثلاثة أيام كان يسألهم فيها أسئلة صعبة ليختبرهم.

٥ - اصطحبهم ديمتريوس فاليريوس أمين المكتبة إلى جزيرة فاروس عبر حاجز الأمواج «الهبتاستاد»(٦) حيث أُعدَّ لهم قصر فاخر في هذا المكان الهادىء بعيداً عن ضوضاء المدينة.

٦ - كانوا يقارنون ما يعملونه ليتفق مع بعضه ولا يكون هناك خلاف. وما ارتضاه الجميع كان ديمتريوس ينسخه.

٧ - اكتملت الترجمة في اثنين وسبعين يوماً.

٨ - اجتمع الشعب اليهودي كله، وقرأ لهم ديمتريوس من الترجمة فاستقبلوها بحماس شديد وتوسَّلوا إليه أن يعطي نسخة لكل أرخن من جماعتهم. وبعد الانتهاء أُضيفت اللعنات على كل مَنْ يحاول تغيير أو حذف أو إضافة شيء.

٩ - حُملت التوراة بعد ذلك إلى الملك بطليموس فيلادلفوس فأبدى دهشته واستحسانه وسجد للمخطوط وأوصى بحفظه في المكتبة.

ويضيف فيلو الفيلسوف الإسكندري في القرن الأول الميلادي بعض التفاصيل، فيذكر أن الشيوخ الاثنين والسبعين الذين حملوا الأسفار المقدَّسة على أيديهم نحو السماء سائلين الله أن لا يخيِّب مساعيهم، فاستجاب الله لصلواتهم حتى ينتفع بها الناس في توجيه سلوكهم وحياتهم؛ كما أن الملك نفسه الذي اهتم بتكميل هذا العمل الجليل كان **مساقاً بحكمة وحذق إلهيين**، وأمَّا الشيوخ الذين قاموا بعمل هذه

---

(٦) راجع ما جاء قبلاً في وصف إسكندرية البطالمة: صفحة ٢١.

الترجمة فكانوا تحت «**الوحـــي الإلهـــي**»، فنطقوا بنفس الكلمات والأفعال كما لو كان كل واحد منهم يُصغي إلى مُلقِّن داخله غير منظور يمليه ما يكتبه. ثم يستعرض فيلو أوجه الخلاف وعدم التناظر بين المفردات والتعبيرات العبرية واليونانية فيقول بعد ذلك أن: «مَنْ يُطالع النصَّين العبري واليوناني يعتقد أنه في مواجهة لغتين توأمتين، أو على وجه الدقة هناك لغة واحدة مقدَّسة فريدة منطوقة باللسان العبري في النص العبري واللسان اليوناني في الترجمة السبعينية. فلم يكن الشيوخ إذاً مجرد مترجمين بل "معلمي القداسة ἱεροφάντες وأنبياء".

لذلك حقَّ لنا أن نحتفل بالعيد السنوي والاجتماع في جزيرة فاروس تذكاراً لهذا العمل المجيد، وفي هذا المكان الذي شهد بداية الترجمة؛ ونشكر الله على إحساناته، ليست القديمة فقط بل الجديدة كل يوم.»(٧)

وواضح من شهادة فيلو التي حُفظت لنا من القرن الأول الميلادي أن المبادرة بالترجمة لم تأتِ من يهود فلسطين بل من نخبة المثقفين اليونانيين، وهي بذلك تعدُّ مؤشراً إلهياً للعلاقة بين الله وبين اليونانيين الشعب الغريب عن الله. ولكن الدلالة الحاسمة للإلهام الإلهي هو التوافق العجيب بين المترجمين، ثم الصفة التقديسية التي استُقبلت بها الترجمة حتى أُعطي للمترجمين لقب «معلمي القداسة» و«أنبياء». وبالطبع كان الإلهام في الترجمة أقل من الإلهام لموسى النبي كاتب التوراة

---

(٧) PHILO; *Life of Moses* II, 37.

بالعبرية، إلاَّ أن التوراة العبرية واليونانية كانتا على نفس المستوى من القداسة والقبول حيث يقول: على وجه الدقة هناك لغة واحدة مقدَّسة فريدة منطوقة باللسان العبري (ما كتبه موسى النبي)، وباللسان اليوناني (ما ترجمه المفسرون اليونانيون).

وتخليداً لهذا العمل الإلهي – الترجمة السبعينية – صار احتفال سنوي في جزيرة فاروس، ويستحيل أن يقوم هذا العيد دون وجود حقيقة تاريخية توحي به، وهي الترجمة السبعينية.

وبديهياً، فقد أمَّن هذا الاعتقاد للترجمة السبعينية مكانة مرموقة بين يهود الشتات اليوناني، ومهَّد الأرض أمام الرسل الأوائل باعتبار النص السبعيني مقبولاً في إلهامه أو ترجمته، وصار هو العهد القديم لدى الرسل والكنيسة الأُولى.

وقد اقتبس هذه القصة كل آباء الكنيسة الأوائل في كتاباتهم:

- يوستينوس الشهيد (سنة ١٣٠م): حوار مع تريفو ٦٨:٧١؛ الدفاع الأول ٣١؛ حث اليونانيين ١٣.
- إيرينيئوس (سنة ٢٠٣م): ضد الهرطقات ٢:٢١:٣.
- كليمندس الإسكندري (سنة ٢١٦م): المتنوعات ١٤٨:٢٢:١.
- ترتليانوس "شمال أفريقيا" (سنة ٢٤٠م): الدفاع ١٨.
- أناتوليوس (في يوسابيوس القيصري): تاريخ الكنيسة ٣٢:٨.
- يوسابيوس القيصري (سنة ٣٤٠م): التمهيد للإنجيل ١:٨-٩، ٣٨:٩.
- كيرلس الأُورشليمي (٣٨٦م): عظات الموعوظين ٣٤:٤.
- أمبروسيوس (سنة ٣٩٧م): عن المزامير ١١٨.
- إبيفانيوس (سنة ٤٠٣م): الموازين والمكاييل ٦:٣.

- يوحنا ذهبي الفم (سنة ٤٠٧م): تفسير إنجيل متى ٥:٤.
- أغسطينوس (سنة ٤٣٠م): مدينة الله ١٨:٤٢؛ ١٥:١١-١٣.
- كيرلس الكبير (سنة ٤٤٤م): ضد يوليانوس.
- تلمود بابل: مجللاّه ٩.

العهد القديم أيام الرسل والكنيسة الأُولى:

بعد قيامة السيد المسيح، وقف مع تلاميذه قبل صعوده يوصيهم هكذا:

+ «اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمِّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس. وعلِّموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به.» (مت ٢٨:١٩و٢٠)

+ «اذهبوا **إلى العالم أجمع** واكرزوا بالإنجيل **للخليقة كلها**. مَنْ آمن واعتمد خلص، ومَنْ لم يؤمن يُدَن.» (مر ١٦:١٥و١٦)

+ «هذا هو الكلام الذي كلمتكم به وأنا بعد معكم. أنه لا بد أن يتم جميع ما هو مكتوب عني في **ناموس موسى والأنبياء والمزامير**. حينئذ فتح ذهنهم ليفهموا الكتب γράφας، وقال لهم: هكذا هو مكتوب وهكذا كان ينبغي أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات في اليوم الثالث، وأن يُكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا **لجميع الأمم**.» (لو ٢٤:٤٤-٤٧)

فإرسالية التلاميذ والرسل هي **للعالم أجمع وللخليقة كلها**؛ وفداء المسيح الذي سيكرزون به سبق الإنباء به في ناموس موسى، والأنبياء، والمزامير؛ وهي الأقسام الثلاثة التي كان العهد القديم العبري مقسَّماً إليها: «توراة، نَبِيِّيم، كِتُوفيم». فبعد ما قبلوا الروح القدس وانفتح ذهنهم لفهم الكتب، بدأوا عملية تنقيب واسعة في أسفار العهد القديم

بحثاً عن المواعيد والنبوات والمزامير التي أُكملت في حياة الرب يسوع على الأرض: ميلاده، عماده، تجربته على الجبل، معجزاته وتعاليمه، رفضه وآلامه، صلبه وقيامته. وكان أبرع مَنْ نبغ في عملية التنقيب هذه هو القديس متى الرسول في إنجيله، الإنجيل الذي للخليقة كلها ولجميع الأمم **باللغة اليونانية**؛ والنبوات التي تتحدث عنه كانت أمامه باللغة اليونانية أي في الترجمة السبعينية. لذلك يبلغ عدد الاقتباسات والاستشهادات من العهد القديم في إنجيل متى ما لا يقل عن ستين نصاً، بعضها تصريحاً وبعضها تلميحاً. مثلاً:

مت ١:٢٣	إش ٧:١٤	(حسب السبعينية)
مت ٢:٦	مي ٥:٢٢	(حسب السبعينية)
مت ٣:٣	إش ٤٠:٣	(حسب السبعينية)
مت ٤:٤	تث ٨:٣	(حسب السبعينية)
مت ١١:١٠	مل ٣:١	(حسب السبعينية)
مت ١٥:٨و٩	إش ٢٩:١٣	(حسب السبعينية)

وقد استوفى القديس متى في إنجيله كل ما جاء عن المسيح والمسيا في العهد القديم حتى إنه يمكن أن يُعطَى لهذا الإنجيل عنوانٌ آخر، وهو: «المسيح في العهد القديم». ويميل العلماء المحدثون إلى اعتبار هذا الإنجيل أنه «مدراش مسيحي»(٨) أي أنه كان لدى القديس متى تلاميذ من شيوخ اليهود، متفقهين في اللغة اليونانية وفي أسفار العهد

---

(٨) كلمة «مدراش» مأخوذة من الفعل العبري: داراش = درس. إذاً، كلمة «مدراش» تعني «دراسة».

القديم اليوناني، يتداولون معاً متأملين أحداث حياة السيد المسيح ومقابلتها مع ما جاء في العهد القديم، ليكتشفوا في النهاية أنه ليست النبوات فقط هي التي تتكلم عن كل تفاصيل حياته، بل حتى الأحداث التاريخية لشعب إسرائيل كانت ترمز لهذا المسيا المرسل لخلاص إسرائيل والعالم من عبودية الخطية. مثلاً؛ يقول هوشع النبي عن إسرائيل: «لمَّا كان إسرائيل غلاماً (أو طفلاً) أحببته، ومن مصر دعوت ابني» (هو ١١:١). فلما انفتح ذهن متى العشار والرسول، جلس مع تلاميذه والعاملين معه من المبشرين والكارزين(٩)، وعرفوا أن إسرائيل هو يسوع، وخروج إسرائيل من مصر لم يكن تاريخاً مقدَّساً فقط، بل هو «حدث نبويٌّ» أي نبوة في صورة حادثة تاريخية. وتحققت هذه النبوة في عودة يسوع طفلاً من مصر.

ويفتش القديس بولس الرسول في العهد القديم عمَّا نلناه نحن المؤمنين من مواعيد كانت لإبراهيم ونسله في العهد القديم فتحققت لنا بيسوع المسيح في العهد الجديد فيرى أن الوعد لإبراهيم لم يكن لنسله بحسب الجسد، بل بحسب الروح؛ «لمَنْ هو من إيمان إبراهيم ... لم يُكتب من أجله وحده أنه حُسب له، بل من أجلنا نحن أيضاً الذين سيُحسب لنا،

---

(٩) من المرجَّح أن منهم مَنْ كان من يهود مصر، حيث أن الإنجيل الوحيد الذي ذكر هروب الطفل يسوع مع أمه إلى مصر هو إنجيل متى، وهناك دراسة حديثة عن الأصل الإسكندري لإنجيل متى لأحد عمداء كلية اللاهوت بمانشستر بانجلترا؛ راجع الفصل الثاني عشر من:

BRANDON: *The Fall of Jerusalem and The Christian Church;*
The Gospel of Matthew and The Origins of Alexandrian Christianity.

الذين نؤمن بمَنْ أقام يسوع ربنا من الأموات.» (رو ٤:١٦و٢٣و٢٤)

بل حتى الطقوس والشرائع والكهنوت والذبائح، التي هي جوهر العبادة اليهودية، صارت بعد انفتاح ذهن التلاميذ على السماويات والأبديات ظِلاًّ للأمور العتيدة ورمزاً لأشياء محققة كملت لنا نحن المؤمنين بابن الله: «فإذ لنا ... ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع، طريقاً كرَّسه لنا حديثاً حيًّا بالحجاب أي جسده، وكاهن عظيم على بيت الله، لنتقدم بقلب صادق في يقين الإيمان مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير، ومغتسلة أجسادنا بماء نقي، لنتمسك بإقرار(١٠) الرجاء راسخاً لأن الذي وعد هو أمين» (عب ١٠:١٩-٢٣)؛ «لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذُبح لأجلنا.» (١ كو ٥:٧)

لذلك تمسك التلاميذ والرسل تمسكاً شديداً بالعهد القديم في ترجمته السبعينية، كما يتضح هذا من وصية القديس بولس لتلميذه تيموثاوس، وهو ابن امرأة يهودية مؤمنة وأبوه يوناني (أي وثني): «وأنك منذ الطفولية تعرف الكتب المقدَّسة ἱερά γράμματα (أي العهد القديم) القادرة أن تحكِّمك(١١) للخلاص بالإيمان الذي في المسيح يسوع. كل الكتاب ἡ γραφή (أي الترجمة السبعينية التي

---

(١٠) جاءت كلمة «إقرار» في اليونانية ὁμολογία بمعنى «قانون الإيمان» الذي كانت تسلمه الكنيسة الأُولى للمعمَّدين في صورته البسيطة الأُولى. كما يلاحظ القارىء الإشارات الليتورجية المتلازمة في هذه الآية: «مرشوشة قلوبنا» بدم الإفخارستيا الذي تناوله الكنيسة لأعضائها، «مغتسلة أجسادنا» بماء المعمودية، «إقرار الرجاء» الصورة المبسطة الأُولى لقانون الإيمان المسلَّم للمعمدين. وتعتبر هذه الآية من الشواهد الأساسية لممارسة الكنيسة للأسرار منذ العصر الرسولي.

(١١) σοφίσαι أي تجعلك حكيماً وقادراً على معرفة الصالح والشرير والتمييز بينهما.

بين يديه) هو موحى به من الله(١٢) ونافع للتعليم والتوبيخ، للتقويم والتأديب الذي في البر لكي يكون إنسان الله كاملاً متأهباً لكل عمل صالح.» (٢ تي ٣:١٥-١٧)

ولم يكن هذا الموقف قاصراً على رسل وتلاميذ السيد المسيح، بل نعلم أن فيلو اليهودي الإسكندري اقتبس من الترجمة السبعينية في كل كتاباته؛ ويوسيفوس المؤرخ اليهودي في القرن الأول الميلادي والذي تعلّم منذ طفوليته على الأسفار العبرية إلاَّ أن استشهاداته كلها كانت من السبعينية رغم ادِّعائه أنه يترجم عن العبرية.

وهكذا نرى كنيسة القرن الأول الميلادي باعتبارها «إسرائيل الله» قد ورثت عن إسرائيل القديمة أسفار العهد القديم المتداول بين أيديهم باللغة اليونانية باعتباره عمل ملهم من الله (٢ تي ٣:١٦)، وتبنّت بذلك وجهة نظر فيلو اليهودي الإسكندري في اعتقاده بالوحي الإلهي للترجمة السبعينية، والتي كانت تتضمن ما سمِّي بعد ذلك باسم «الأسفار المحذوفة أو الأبوكريفا». فلم يكن عندهم تفرقة بين أسفار وأسفار، بل استمرت الكنيسة في قراءتها والانتفاع بها للتقويم والتأديب والتعليم باعتبارها أسفاراً مقدَّسة.

والحقيقة أن أسفار العهد الجديد تشمل الكثير من الإشارات

---

(١٢) θεόπνευστος، وقد تُرجمت هذه الكلمة اليونانية في اللغة القبطية ترجمة حرفية: «أنفاس الله» «NINIϕI NTЄ ϕϮ» كما جاءت في القطعة الرابعة من إبصالية يوم الأربعاء: «يعلموننا في الكتب المقدَّسة **أنفاس الله**».

والتلميحات المباشرة وغير المباشرة للأسفار المدعوة باسم «الأبوكريفا»، لأنها في الواقع قنطرة عبور من العهد القديم إلى الجديد. فقارىء الإنجيل، إن أراد أن يفهم مَنْ هم الفريسيون والصدُّوقيون الذين وردت مقاومتهم وعداؤهم للسيد المسيح في الأناجيل، وللتلاميذ والرسل في سفر الأعمال، لا بد أن يرجع للأسفار المحذوفة ويقرأ عنهم في سفري المكابيين. والفهم الجيد والواقعي لكل ما يتعلّق بالملائكة والشياطين وأعمالهم في العهد الجديد محتاج لقراءة سفري طوبيت والمكابيين الثاني. وكتبة أسفار العهد الجديد كانوا على ثقة أن كتاباتهم وتسجيلاتهم كما وصلت إلينا سيسهل استيعابها للذين اعتادوا على الأسفار المحذوفة.

مثلاً: جاء ذِكْر عيد التجديد في إنجيل يوحنا ١٠:٢٢ مجرداً من أي شرح أو وصف، لأن منشأ هذا العيد ومناسبة الاحتفال به جاءت تفصيلاً في عصر المكابيين لمناسبة إعادة تجديد (أو تدشين) الهيكل على يد يهوذا المكابي كما هو مذكور في (١ مكابيين ٤:٥٩)، (٣مكابيين ١٠:٨). وما زال اليهود حتى عصرنا هذا يحتفلون به باسم «عيد الحانّوخا» أو «عيد الأنوار» (راجع ٢مكابيين ١:٨). فلو لم يكن هذا العيد معروفاً من الترجمة السبعينية لقرّاء إنجيل يوحنا لأضاف كاتب الإنجيل شرحاً لمعناه ومناسبته كما فعل القديس مرقس مثلاً في إنجيله ٧:٣-٥.

ومثلٌ آخر: قارن أقوال السيد المسيح التالية مع ما يقابلها من الأسفار المحذوفة:

«ليس أحد يجعل رقعة من قطعة جديدة على ثوب عتيق ... ولا يجعلون خمراً جديدة في زقاق عتيقة.»

(مت ٩:١٦و١٧)

«الصديق الجديد مثل الخمر الجديدة، فإذا عتق تشربه بسرور.»

(ابن سيراخ ٩:١٠)

«احملوا نيري عليكم ... فتجدوا راحة لنفوسكم.»

(مت ١١:٢٩)

«أخضِعوا عنقكم تحت نيرها[١٣] ... تعبت قليلاً فوجدت لنفسي راحة كثيرة.»

(ابن سيراخ ٥١:٢٦و٢٧)

«أقول لنفسي يا نفس لكِ خيرات كثيرة موضوعة لسنين كثيرة. استريحي وكلي واشربي وافرحي. فقال له الله: يا غبيّ، هذه الليلة تطلب نفسك منك. فهذه التي أعددتها لِمَنْ تكون؟»

(لو ١٢:١٩و٢٠)

«(الغَنِي) فيما يقول: قد وجدتُ لي راحة والآن آكل من خيراتي دائماً. وما علم أن الزمان ماض فيخلف هذه جميعها لغيره ويموت.»

(ابن سيراخ ١١:٩)

«ليكن كل إنسان مسرعاً في الاستماع مبطئاً في التكلُّم.»

(يع ١:١٩)

«كُنْ مسرعاً في سماعك وانطق الجواب بتمهل.»

(ابن سيراخ ٥:١١)

---

(١٣) أي نير «الحكمة». ويقول القديس بولس الرسول عن السيد المسيح: «بالمسيح قوة الله، **وحكمة** الله ... المسيح يسوع الذي صار لنا **حكمة** من الله.» (١كو ١:٢٤و٣٠)

وهناك إشارات وشواهد كثيرة مُقنِعة، أن كتبة أسفار العهد الجديد كانوا مطَّلعين وعلى علم بالترجمة السبعينية بما فيها الأسفار المسمَّاة «الأبوكريفا» وكانوا يقتبسون منها على نفس المستوى واليقين «أنها نافعة للتعليم والتوبيخ، للتقويم والتأديب»، حتى إن أحد العلماء يقول إن ٨٠٪ من اقتباسات العهد القديم مأخوذة من النص السبعيني.

أسفار العهد القديم في القرنين الثاني والثالث:

سار آباء الكنيسة والكُتَّاب المسيحيون بعد التلاميذ والرسل على نفس الدرب، ولم يميزوا في اقتباساتهم أي سفر من أسفار الترجمة السبعينية عن باقي الأسفار باعتباره أقل درجة أو مستوى، بل كانت جميعها على درجة واحدة من الإلهام الإلهي:

- الرسالة الأُولى إلى كورنثوس للقديس كليمندس الروماني (محررة سنة ٩٥م)، يستشهد فيها بآيات من سفر الحكمة.
- كتاب «تعليم الرسل الاثني عشر» المعروف باسم «الديداخي» من مكتوبات أوائل القرن الثاني الميلادي، فيها اقتباسات من سفر حكمة «يشوع بن سيراخ».
- رسالة برنابا ومصدرها مدينة الإسكندرية (تاريخها حوالي سنة ١٣٠م) تقتبس من أسفار الحكمة ويشوع بن سيراخ وعزرا الثاني.
- القديس هيبوليتس[١٤] أسقف رومية المستشهد سنة ٢٣٥م أضاف

---

(١٤) المشهور في الكنيسة القبطية وصاحب القوانين الكنسية المعروفة باسم «قوانين أبوليدس».

في شرحه على سفر دانيال القطع الزائدة في النص اليوناني عن الأصل العبري وهي قصة سوسنة العفيفة وتسبحة الثلاثة الفتية.

ويعبِّر القديس إيرينيئوس المعروف باسم «أبو التقليد الكنسي» عن موقف الكنيسة شرقاً وغرباً من الترجمة السبعينية في كتابه ضد الهرطقات؛ فيقول:

[بطليموس لاغوس ... طلب إلى شعب أورشليم أن يترجموا كتبهم المقدَّسة إلى اليونانية. فأرسلوا إليه سبعين شيخاً حاذقين في الكتب المقدَّسة وفي اللغتين العبرية واليونانية لينفِّذوا له مشيئته. وإذ رغب أن يختبر كل واحد منهم منفرداً خشية أن يتشاوروا مع بعضهم بعضاً لإخفاء الحق الكائن في الكتب المقدَّسة عند ترجمتها، عزل كل واحد عن رفيقه وأوصاهم أن يكتبوا ترجماتهم ... فلمَّا اجتمعوا معاً في مكان واحد أمام بطليموس وقارنوا ما كتبوه وترجموه **تمجَّد الله** وأقروا أن الأسفار هي بالحقيقة **إلهية** لأنهم جميعاً قرأوا ما ترجموه فكان بنفس الكلمات والأسماء من البداية حتى النهاية. وشهد بذلك الوثنيون الحاضرون أنها تُرجِمت «**بوحي إلهي**»، وليس في هذا عجبٌ ...

وحيث أن الأسفار القديمة قد تمَّ تفسيرها (أي ترجمتها) بمثل هذه الأمانة، **وبتدخُّل نعمة الله** الذي أعدَّنا بواسطتها، وصاغ إيماننا مرة أخرى في ابنه، وحفظ لنا الكتب المقدَّسة (العهد القديم) بغير تزييف في مصر (حيث تمت الترجمة السبعينية) التي أزهر فيها بيت يعقوب هارباً من المجاعة في كنعان، وحيث

حُفظ ربنا عندما هرب إليها هارباً من اضطهاد هيرودس؛ وحيث أن هذه الترجمة قد تمَّت قبل مجيء ربنا على الأرض وخرجت إلى الوجود قبلما يظهر جنس المسيحيين، لذلك فإيماننا راسخ غير مزيَّف، وهو الحق وحده، وله أسانيده من هذه الكتب المقدَّسة (أي الترجمة السبعينية) بالطريقة التي ذكرتها آنفاً، ومن كرازة الكنيسة بلا انقطاع. **فالرسل متفقون على هذه الترجمة**، والترجمة نفسها متوافقة مع التقليد الرسولي. لأن القديس بطرس ويوحنا ومتى وبولس وسائر مَنْ تبعوهم أظهروا هذه الإعلانات النبوية كما فسرها الشيوخ (السبعون).

لأنه أليس واحداً هو روح الله الذي نادى بواسطة الأنبياء عمَّا هو مجيء الرب؟ وما هو شكله؟ وبواسطة هؤلاء الشيوخ أعطى تفسيراً لما سبق الإنباء به. وهو هو الروح (الواحد) الذي أعلن في الرسل مجيء ملء الأزمنة واقتراب ملكوت السموات، وهو الذي يحل وسط المؤمنين بالمولود من العذراء ـ عمانوئيل.](١٥)

عداء اليهود للترجمة السبعينية:

لما خرج الرسل والتلاميذ للتبشير بملكوت الله طاعة لقول السيد المسيح: «اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم ...» كانت السبعينية في يد يهود الشتات هي العهد القديم، وعلى أساسها كان يدور الحوار في القرن الأول الميلادي بينهم وبين الكارزين من اليهود المتنصرين مستشهدين من نبوات

(١٥) IREN., *Ad. Haer* III, 21:2-4.

وأسفار العهد القديم أن يسوع هو المسيا المنتظر. فكان رد الفعل أن اليهود اتهموا المسيحيين بعدم دقة الترجمة السبعينية. فيقول يوستينوس الشهيد (سنة ١١٠ - ١٦٥م) في حواره مع تريفو اليهودي:

[إن معلّميكم يرفضون الاعتراف بصحة الترجمة التي قام بها السبعون شيخاً في عهد بطليموس ملك مصر. وفي سبيل ذلك يستشهدون بالآية: «هوذا العذراء تحبل» (إش ٧: ١٤) قائلين إنه ينبغي أن تُقرأ هكذا: «الفتاة، أو الشابة الصغيرة».](١٦)

والحقيقة أن امتعاض الرابيِّين اليهود ونفورهم من الترجمة السبعينية لم يكن مرجعه إلى أسباب جدلية أو دقة ترجمة نصوص، بل سببه قيام مدرسة فرِّيسيَّة جديدة للتفسير عقب فشل ثورة اليهود الثانية على يد زعيمهم ابن كوكب سنة ١٣٢ - ١٣٥م، وانتهاء اليهود كأمة وشعب ليتحولوا إلى جماعة دينية أو «طائفة» تجاهد للحفاظ على نفسها ضد عوامل الذوبان في التيار المسيحي الجارف الذي اندفق على العالم الوثني واصطاد المفكرين والفلاسفة وعِلِّية القوم في القرون الأُولى. ومن هنا بدأ عداؤهم للسبعينية(١٧)، وقاموا من جهتهم بترجمة يونانية خاصة بهم عن طريق أحد الدخلاء (وثني منضم إلى اليهودية) يُدعى أكيلاً.

---

(١٦) JUSTIN; *Ad. Trypho* c. 30، ويمكن للقارىء أن يرجع لكتاب: «العذراء القديسة مريم "ثيئوتوكس" للأب متى المسكين، فصل: "دائمة البتولية"»، حيث يؤكد الكاتب عدم وجود فارق لغوي بين كلمة «عَلْمَاه» العبرية وكلمة «παρθένος» اليونانية.

(١٧) يقول التلمود اليهودي: «حدث مرة أن الشيوخ كتبوا التوراة باليونانية للملك بطليموس. وكان هذا يوماً شؤماً على إسرائيل مثل اليوم الذي صنع فيه إسرائيل عجل الذهب، لأن التوراة لا يمكن أن تترجم بحسب مقتضى الحال».

ترجمة أكيلاَّ:

يُقال أن «أكيلا» هذا كان من عائلة الإمبراطور هادريان (أدريانوس) ومواطن من بنطس، أقامه الإمبراطور لبناء مدينة «آليا كابيتولينا» على أنقاض أورشليم ليمحو كل ذكر لها من وجه الأرض عقب ثورة اليهود الثانية سنة ١٣٥م. فلمَّا اختلط بالمسيحيين العائدين من مدينة بيلَّلا - التي تقع شرق البحر الميت، وقد هرب إليها المسيحيون عندما بدأ تيطس حملته ضد اليهود سنة ٧٠م - آمن على أيديهم بالمسيحية لكنه تمسَّك بعلم «التنجيم» الذي تعلَّمه في وثنيته فرفضوه. ولكي ينتقم منهم انضم إلى اليهود واختتن؛ فأوكلوا إليه عمل ترجمة يونانية تحل محل السبعينية التي تمد المسيحيين بالبراهين ضد اليهود. وما زال التقليد اليهودي يذكره بالكثير من الاحترام والتوقير، خاصة أنه تتلمذ على يد الرابِّيين الكبار مثل الرابِّي عقيبا بن يوسف الأب الروحي لثورة ابن كوكب. ولهذا نسبوا إليه أجزاء كثيرة من الترجوم اليهودي وهو الجزء المسمَّى باسم «ترجوم أونكيلس ONKELOS» وترجوم بابل هو الترجوم القياسي لدى اليهود.

ويُعتبر أسلوبه في الترجمة دارجاً جامداً، إذ حاول أن ينحت ويشتق لكل فعل ولكل اسم ولكل أداة في العبرية ما يناظرها في اللغة اليونانية. حتى إن الأداة «إتْ» في العبرية، وهي التي تسبق المفعول به في الجملة العبرية استخدم مقابلها «σὺν» مع المفعول به، وهذا يناقض قواعد اللغة اليونانية حيث أن هذا الحرف اليوناني σὺν معناه «مع» ويتبعه القابل وليس المفعول به. كل ذلك كان إصراراً من أكيلاً على ترجمة كل كلمة أو أداة في الأصل العبري، فصارت النتيجة أن الكثير من

العبارات صارت بلا معنى.

ترجمة سيماخوس:

يقول أوسابيوس القيصري[١٨] أن سيماخوس هذا ينتسب إلى طائفة الفقراء[١٩]، إحدى شيع اليهود المتنصرين المقيمة في فلسطين، ويذكر إبيفانيوس[٢٠]، في أوائل القرن الخامس، أنه سامري انضم إلى اليهود. وقد قام بعمل ترجمة للعهد القديم إلى اللغة اليونانية في أواخر القرن الثاني الميلادي، وكانت ترجمته هذه تحت يد المعلّم الكنسي أوريجانوس عندما وضع مؤلفه المشهور «الهكسابلا». وتقول الدراسات الحديثة أنه اعتمد في ترجمته هذه على ما قام به يهود فلسطين من تعديل وتنقيح للسبعينية[٢١]. وعلى كل حال ما وصل إلينا من هذه الترجمة هو الشذرات الباقية من عمل أوريجانوس الضخم «الهكسابلا» وتكشف عن مدى احترامه للمصطلحات اليونانية وأصول التعبير في اللغة مع إخلاصه للنص العبري. وقد اعتمد عليها القديس جيروم في ترجمته اللاتينية للعهد القديم في شرح ما أُشكِل عليه من تفسيرات في المعاني أو الأسلوب اليوناني.

ترجمة ثيئودوسيون:

لم تتوقف عمليات المراجعة والتعديل والتنقيح للنصوص اليونانية

---

(١٨) EUSEB., *Hist. Eccl.* VI, 17.

(١٩) هي طائفة «الإيبيونيين».

(٢٠) EPIPHAN., *De Mens. et. Pond.*, 15.

(٢١) D. BARTHELEMY, *Les Devanciers d'Aquila.*

التي اشتهرت باسم «السبعينية». وفي فلسطين انتسبت إحدى هذه المراجعات إلى ثيئودوسيون وهو دخيل يهودي من أفسس بآسيا الصغرى في القرن الثاني الميلادي. وقد أدخلت الكنيسة ترجمته لسفر دانيال في كتابها المقدَّس بدلاً من النص السبعيني حيث ثبت للكنيسة أن القديس يوحنا اللاهوتي في سفر الرؤيا استعمل في استشهاداته من العهد القديم نصاً فلسطينياً مشابهاً للنص المنسوب إلى ثيئودوسيون هذا.

ويرجح العلماء وجود نصوص أخرى بخلاف سفر دانيال أُخذت عن النص اليوناني المترجم في فلسطين مثل: المراثي، نشيد الأنشاد، راعوث، ١صم ١١:٢- ١مل٢:١١، سفر القضاة في مخطوطة الفاتيكان B اليونانية لأسفار العهد القديم، وبعض القطع الأخرى المتفرقة في باقي الأسفار.

النص السداسي «الهِكْسابلا»:

نعلم أن عمليات الترجمة للأسفار اليهودية مبتدئة من التوراة حوالي سنة ٢٥٠ق.م استمرت بعد ذلك حتى مجيء يشوع بن سيراخ إلى الإسكندرية سنة ١٣٢ ق.م ليترجم سفر «الحكمة» الذي ألَّفه جده بالعبرية في فلسطين حوالي سنة ١٨٠ ق.م. ومن مقدمة هذا السفر نعلم أن ترجمة أسفار الأنبياء والكتابات المقدَّسة قد تمت وقتئذ واشتهرت جميعاً تحت عنوان واحد وهو «بحسب السبعينية» κατὰ ἑβδομήκοντα. ولم تتوقف عمليات التنقيح والتصحيح وإعادة الترجمة خاصة لموقف اليهود العدائي تجاه النص السبعيني، فتكاثرت النصوص حتى صار من المحتَّم إعادة دراسة وتقييم هذه التصحيحات لمحاولة ضبط النص. وهذا ما دفع العلاَّمة المصري أوريجانوس والمدير السابق لمدرسة الإسكندرية اللاهوتية سنة ٢٤٥م أن

يقوم بمؤلفه الجبار ذي الأعمدة الستة والذي اشتهر باسم «الهكسابلا». ويُعتبر أوريجانوس في نظر علماء الكتاب المقدس قديماً وحديثاً هو أول عالِم في دراسة نصوص الكتاب المقدَّس على أسس علمية. فبالرغم من انحرافاته اللاهوتية التي كان أخطرها بلا شك هو أنه زرع البذرة الأُولى لهرطقة آريوس فيما بعد عصره، وهي الانحرافات التي جعلت البابا ديمتريوس البطريرك الثاني عشر لكنيسة الإسكندرية يضطره لترك مدرسة الإسكندرية، فسافر إلى قيصرية فلسطين حيث عاود نشاطه؛ بالرغم من كل هذا فلا يزال العالم يعترف بجهوده الجبارة كأول عالِمٍ في نصوص الكتاب المقدَّس. وبسبب مشروعه هذا - الهكسابلا - تعلَّم اللغة العبرية في الإسكندرية ليتمكن من دراسة الأسفار اليهودية، واستمرت دراسته هذه خمس سنوات، ودعيت ἑξάπλα βιβλία أي «المجلد ذو الستة أعمدة». ونظامه هو دراسة مقارنة للنصوص العبرية واليونانية المتداولة في عصره ثم وضعها في ستة أعمدة معطياً كل عمود من الترجمات اليونانية رمزاً وهو الحرف الأول من صاحب الترجمة. ونظام هذه الأعمدة الستة كان هكذا:

١- النص العبري.

٢- النص العبري مكتوباً ومنطوقاً باليونانية Transliteration.

٣- ترجمة أكيلاَّ α.

٤- ترجمة سيماخوس(٢٢) σ.

---

(٢٢) يذكر يوسابيوس القيصري His. Eccl. VI, ١٧. أنه كانت توجد سيدة مؤمنة تُدعى يوليانا أمدَّت أوريجانوس بنصوص ترجمة سيماخوس من المُترجِم مباشرة.

٥- السبعينية ε.

٦- ثيئودوسيون θ.

وأهم ما لفت نظر أوريجانوس في العمودين الأول - النص العبري - والخامس - السبعينية - هو وجود كلمات وجمل بل وفقرات كاملة في السبعينية لا وجود لها في النص العبري، أو العكس. لذلك وضع عليها علامة مميزة في بداية الجملة أو القطعة ونهايتها، مماثلة للعلامات التي نضعها الآن في وسط النصوص لنشرحها في الهوامش. كذلك أدخل إلى النص السبعيني كل ما كان غائباً منه وكان له مقابل في العبري من ترجمات أكيلا (α) وسيماخوس (σ) وثيئودوسيون (θ). وحُفظ هذا العمل الجبَّار «النص السداسي» في مكتبة قيصرية فلسطين حيث قام فيما بعد أسقفها «يوسابيوس القيصري» بإهداء خمسين نسخة من العمود الخامس إلى الإمبراطور قسطنطين لاستعمالها في عاصمته الجديدة في القسطنطينية(٢٣).

كان أهم ما في هذا العمل الضخم بالنسبة للنسَّاخ هو العمود الخامس. لذلك نسخوه بعلاماته المميِّزة، ومع توالي الأزمنة صارت العلامات غير مفهومة وضاع معناها لديهم فتغيرت أماكنها وصار كل ناسخ - بحسب خبرته وعلمه - يبدِّل في أماكنها ومواضعها أو يحذفها

(٢٣) الأثر الوحيد الباقي من «الهكسابلا» عُثر عليه في ميلانو ويرجع للقرن العاشر الميلادي متضمناً أحد عشر مزموراً، وورقة صغيرة ترجع للقرن السابع عُثر عليها في خزانة مجمع لعازر اليهودي بمصر القديمة في أوائل القرن العشرين، تحوي مز ٢٢:١٥-١٨ و٢٠-٢٨، وما زالت محفوظة بجامعة كمبردج.

فيما بعد لعدم إدراكه لمعناها ومغزاها.

ولحسن الحظ قام أسقف تِللا (مدينة بجوار اسكندرونة في شمال سوريا) سنة ٦١٨م بترجمة هذا العمود إلى السريانية، وما زالت أجزاء كثيرة من هذه الترجمة موجودة في مكتبات ومتاحف العالم، وتسمَّى بالنص المنقَّح عن الهكسابلا: Hexaplanic Recension، أو «النص الفلسطيني». وما زالت مكتبة دير القديس أنبا مقار تحتفظ في إحدى مخطوطاتها العربية[٢٤] بشرح كامل لجميع تفاصيل هذه العملية وما قام به أوريجانوس والعلامات التي وضعها، منقولة عن مصدر سرياني أو مترجمة منه.

النص المصري المنقَّح:

في الوقت الذي كانت تُجرَى فيه عملية نساخة الهكسابلا «النص السداسي» في قيصرية فلسطين، قامت أيضاً في مصر عملية موازية لتنقيح نص السبعينية من الأخطاء المتراكمة من النسَّاخ عبر خمسة قرون. والذي قام بهذا العمل هو الأسقف المصري «حزقيوس» الذي استشهد سنة ٣١١م. ويرجِّح هارناك الألماني عميد علماء التاريخ الكنسي في بداية القرن العشرين أنه هو الشهيد الذي ورد اسمه مع رفيقه الأسقف «فيلياس» أسقف تمِّي[٢٥]، وقد ذكر استشهادهما معاً

(٢٤) مخطوط رقم ك ١ - القرن ١٨.

(٢٥) إحدى عواصم مقاطعات الوجه البحري قديماً وكانت تقع بين فرعيّ النيل التِّنيسي والمدياني. وحالياً هي قرية «تمِّي الأمديد» قرب الزقازيق.

يوسابيوس القيصري في تاريخه الكنسي(٢٦). وقد اشتهر الأسقف فيلياس بعلمه وحكمته مما يرجِّح اشتراكه مع رفيقه حزقيوس في مراجعة السبعينية.

كم يكون مؤثراً في النفس منظر هذين الأسقفين وهما في السجون والمطابق يقضيان الوقت في مراجعة وتنقيح كلمة الله لصالح الرعية والشعب في انتظار تنفيذ حكم الإعدام فيهما!! حقاً ما أعظم هؤلاء الأساقفة المصريين الذين كان همُّهم هو دراسة كلمة الله وشرحها؛ فحتى اللحظات الأخيرة من حياتهم، وكلمة الله بين أيديهم.

وقد انتشر طبعاً هذا النص المصري المنقَّح في أعمال بطاركة الإسكندرية وأساقفة مصر، وبالأخص عند القديس كيرلس الكبير في جميع استشهاداته واقتباساته المأخوذة من العهد القديم(٢٧). وبذلك يمكن تجميع أكبر قدر من هذا النص المنقَّح لو رجعنا إلى كتاباتهم وشروحاتهم.

ولا شك أن الترجمة القبطية للعهد القديم قد تأثرت تماماً بهذا النص.

وقد أكدت دراسة حديثة قُدمت في أحد المؤتمرات العالمية لدراسة الترجمة السبعينية أن الظروف المميزة للتنقيح الذي قام به الأسقف المصري

---

(٢٦) [فيلياس هذا هو أسقف كنيسة تمويه، وهو رجل اشتهر بحبه لمواطنيه وبخدماته التي قدَّمها لإيبارشيته، وكذلك لعلمه الفلسفي] (*H.E.* VIII, 9:7, 10:1, 13:7.).

(٢٧) يؤكد العلماء أن مخطوطة Marchalianus إحدى المخطوطات المعروفة للسبعينية (تاريخها من القرن السادس الميلادي وقاصرة على أسفار الأنبياء) هي مخطوطة مصرية، متفقة تماماً مع النص اليوناني المصري المعروف في أعمال القديس كيرلس الكبير.

حزقيوس وصار معروفاً باسم «التنقيح الإسكندري Alexandrian recension» ينعكس بأوضح صورة في المخطوطة المعروفة باسم Codex Vatican. ونفس خصائص هذا التنقيح الإسكندري واضحة أيضاً في النص اليوناني للعهد الجديد والذي اصطلح العلماء على تسميته باسم «النص الإسكندري Alexandrian Text».

وعلى ذلك فما زالت المخطوطة الفاتيكانية تعتبر أقدم صيغة كاملة للترجمة السبعينية ومعبِّرة تعبيراً واضحاً عن التنقيح الإسكندري وأيَّدته الدراسات الدقيقة المتأنِّية لمخطوطات أخرى تعتبر من عائلة النصوص المنقحة بواسطة الأسقف المصري حزقيوس(٢٨).

النص الأنطاكي المنقَّح:

وينتسب إلى لوكيانوس من سَمُسَاطه وكان مديراً لمدرسة أنطاكية اللاهوتية(٢٩) واستشهد سنة ٣١١م. وقد انتشر هذا النص من مدينة أنطاكية إلى آسيا الصغرى والقسطنطينية فتأثَّر به آباء الكنيسة البيزنطية الشرقية مثل يوحنا ذهبي الفم وغيره.

موقف كنيسة الإسكندرية في القرن الثالث:

منذ القرن الثاني، رأينا في كتابات يوستينوس الشهيد كيف بدأ اليهود إشاعاتهم ضد السبعينية متهمين المسيحيين أنهم يتمسكون بأسفار غير دقيقة في محاجتهم ضد اليهود. وهذا بلا شك جعل

---

(٢٨) *The Septuagint and Modern Study* P.153.

(٢٩) هو تلميذ أوريجانوس لما كان في قيصرية فلسطين، ويعتبره العلماء أب الهرطقة الآريوسية.

الكنيسة تعي وجود فوارق بين النصين العبري والسبعيني؛ إلاَّ أن الكنيسة تمسكت شرقاً وغرباً بالإلهام الإلهي للترجمة السبعينية كما شهد بذلك القديس إيرينيئوس أبو التقليد الكنسي.

ورغم الجهد الجبار الذي قام به العلاَّمة أوريجانوس في مقارناته ودراساته لنصوص العهد القديم في الأصل العبري والترجمات اليونانية المختلفة التي كانت بين يديه، إلاَّ أنه تمسك أيضاً بالنص السبعيني التقليدي معبِّراً بذلك عن رأي كنيسة الإسكندرية في التفرقة بين العمل العلمي وبين التقليد الكنسي. وحينما كان أوريجانوس يقف في الكنيسة ليعلِّم ويفسِّر ويعظ كانت اقتباساته كلها من الترجمة السبعينية، رغم عمله المضني في المقارنات بين النصوص المختلفة والتي استغرقت ٢٧ سنة من حياته، بحسب تقدير العلماء. فقد أرسل إليه أحد الذين درسوا في مدرسة الإسكندرية، يوليوس أفريكانوس(٣٠)، ينتقده في شرحه لنبوة دانيال لأنه استعمل قصة سوسنّا العفيفة وعلَّق على تسبحة الثلاثة الفتية. فيقول أوريجانوس في رده على رسالة أفريكانوس إنه يعلم أن:

[تاريخ سوسنَّا التي في سفر دانيال المستعمل الآن في كل كنائس المسيح في ترجمته اليونانية لا وجود له في العبرية، وكذلك قصة البعل والتنِّين ... هل نستبعد هذه الترجمة المستعملة في كنائسنا، ونوصي الإخوة أن يطرحوا الكتب المقدَّسة المنتشرة بينهم،

---

(٣٠) كان تلميذاً لهركلاس عندما كان مديراً لمدرسة الإسكندرية اللاهوتية، أي قبل سنة ٢٣٢م، وصار فيما بعد أسقفاً على «عمواس» في فلسطين التي دُعيت نيكوبوليس سنة ٢٤٠م.

ونتملّق اليهود متوسلين إليهم أن يعطونا ما عندهم من نصوص أصيلة خالية من التزييف؟! ... هل نفترض أن العناية الإلهية المكروز بها في الكتب المقدَّسة لمنفعة كنائس المسيح لم تُعر اهتماماً بالذين مات المسيح لأجلهم واشتراهم بدمه؟ ... هؤلاء الذين لأجلهم لم يشفق على ابنه بل أسلمه لأجلهم، ألا يهبهم معه كل شيء؟ ...لأجل كل هذه الأسباب أذكِّرك بهذه الكلمات: «لا تنقل التخم القديم الذي وضعه آباؤك» (أم ٢٢:٢٨). لا أقول هذا لأردع الباحثين في الأسفار اليهودية ومقارنتها مع ما لدينا من نصوص وقراءات مختلفة. فهذا ما فعلتُه بكل طاقتي، لأحصل على المعنى الموجود في كل النصوص والقراءات المختلفة، معتنياً بالسبعينية، حتى لا أُسلِّم في يد الكنائس التي تحت السماء أي شيء مزيَّف، ولا أعطي فرصة للمقاومين أن يتهموا جماعتنا.](٣١)

أمّا سبب غياب بعض الأسفار اليونانية من العهد القديم العبري لدى اليهود فيرجع – حسب تعليل أوريجانوس – إلى رغبتهم في إخفاء كل ما يمس رؤساءهم وشيوخهم، كما هو مذكور في بداية خبر سوسنّا: «وعُيِّن للقضاء في تلك السنة شيخان من الشعب وهما اللذان تكلّم الرب عنهما أنه خرج الإثم من بابل من القضاة الشيوخ». ويقدِّم أمثلة من الإنجيل لتأكيد ما يقوله، حيث يخاطب السيد المسيح الكتبة والفريسيين بقوله: «لكي يأتي عليكم كل دم زكيٍّ سُفك على

(٣١) ORIGEN; *Ad. Africanus,* 2-4.

الأرض من دم هابيل الصدِّيق إلى دم زكريا بن برخيا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح» (مت ٢٣:٣٥). فالسيد المسيح هنا يتكلَّم عن وقائع حدثت، كما يكتب أوريجانوس، ومع ذلك لم تُذكر في العهد القديم. ثم يتساءل: أين جاء في الأسفار المقدَّسة شيء عن الأنبياء الذين قتلهم اليهود؟ ثم يورد أوريجانوس مثلاً آخر من رسالة العبرانيين: «آخرون تجرَّبوا ... نُشروا، جُرِّبوا ماتوا قتلاً بالسيف» (عب ١١:٣٦و٣٧). لأنه معروف في التقليد اليهودي خارجاً عن الأسفار العبرية أن إشعياء النبي فقط هو الذي نُشر بالمنشار.

وسنرى في الفصول القادمة، وجود نصوص عبرية وشروحات أرامية لبعض فصول النص السبعيني الغائب عن الأصل العبري للعهد القديم في الاكتشافات الحديثة في كهوف قمران، وفي منطقة «المربعات» في فلسطين؛ ومخطوطات أخرى أرامية وعبرية، خرجت من مجمع لعازر اليهودي في مصر القديمة في بداية هذا القرن.

الموقف الكنسي في القرن الرابع:

يتميز هذا القرن بدخول الكنيسة عصر السلام بالمراسيم الإمبراطورية التي أصدرها قسطنطين الكبير سنة ٣١٣م، الأمر الذي ساعد على ظهور السلطان الكنسي في تنظيم العبادة والترتيب الطقسي، وتحديد ما يجب قراءته ليتم حصر النشاط الهرطوقي باستبعاد كتب المبتدعين من أيدي المؤمنين. والذي نبَّه إلى خطورة هذه النقطة هو القديس أثناسيوس الرسولي أبرز الشخصيات الكنسية في القرن الرابع. فكان يقوم بإرسال رسائل فصحية لأساقفة الكراسي التابعين له وقتئذ. ففي رسالته الفصحية التاسعة والثلاثين المرسلة سنة ٣٦٧م يقول:

[... استحسنت أن أضع أمامكم الكتب القانونية المعتبرة أنها إلهية والمسلَّمة إلينا حتى نحكم على الذين سقطوا وضلُّوا؛ ومن جهة أخرى لكي يفرح كل مَنْ بقي راسخاً في الطهارة والنقاوة.

هناك اثنان وعشرون كتاباً للعهد القديم، وكما سمعت أنها مسلَّمة إلينا بحسب عدد الحروف العبرية(٣٢). أمَّا ترتيبهم وأسماؤهم فهو كما يلي: أولاً التكوين، ثم الخروج، وبعده اللاويين، والعدد، والتثنية؛ يتبعهم كتاب يشوع بن نون، القضاة، راعوث، ويلي ذلك أربعة أسفار للملوك، الأول والثاني كتاب واحد، وبالمثل الثالث والرابع كتاب واحد(٣٣). الأيام الأول والثاني كتاب واحد. وأيضاً عزرا الأول والثاني كتاب واحد(٣٤). وبعد ذلك المزامير، والأمثال، والجامعة، ونشيد الأنشاد، وأيوب، والاثنا عشر الأنبياء الصغار وتُعتبر كتاباً واحداً؛ ثم إشعياء، وإرميا مع باروخ؛ والمراثي ورسالة إرميا كتاب واحد(٣٥). وبعد ذلك حزقيال ودانيال، كل منهما كتاب واحد. هذه هي كتب العهد القديم].

---

(٣٢) الإشارة هنا هي إلى ما جاء في يوسيفوس (Apion I, 8)، وعنه أخذ أوريجانوس.

(٣٣) هذه هي العناوين التي أطلقتها الترجمة السبعينية على سفريْ صموئيل الأول والثاني، ثم سفريْ الملوك الأول والثاني، الموجودين في الطبعات الحديثة للعهد القديم.

(٣٤) عزرا الأول في السبعينية يقابل سفر عزرا، وعزرا الثاني يقابله سفر نحميا.

(٣٥) يُلاحظ أن «باروخ» و«رسالة إرميا» غير موجودين في العهد القديم العبري.

وبعد ما يذكر البابا أثناسيوس كتابات العهد الجديد، يقول:

[هذه هي ينابيع الخلاص، لكي يرتوي منها العطاش بكلام الحياة المتضمَّن فيها؛ وفيها وحدها تستعلن تعاليم القداسة.

ولأجل الدقة المتناهية، أُضيف أيضاً أن هناك كتباً لم يشملها القانون، لكن الآباء حددوا قراءتها للمنضمين إلينا حديثاً(٣٦)، ويريدون أن يتتلمذوا لكلام التقوى، وهي: «حكمة سليمان»، «وحكمة يشوع بن سيراخ»؛ «أستير»، و«يهوديت»؛ ثم «طوبيت».

وعلى ذلك لا يوجد أي مكان لكتابات «الأبوكريفا» لأنها من ابتداع الهراطقة الذين كتبوها حينما شاءوا، وأعطوها استحسانهم ونسبوها إلى أزمنة قديمة حتى إذا ما استعملوها كأنها مكتوبات قديمة يجدون فرصة لتضليل البسطاء].

وقد يندهش القارىء حينما يعلم من هذه الرسالة أن القديس أثناسيوس لا يعترف بقانونية بعض أسفار الترجمة السبعينية. لكن الحقيقة أن الكنيسة أطلقت على المجموعة الأُولى اسم «الأسفار القانونية الأُولى πρωτοκανονικά»، بينما أعطت المجموعة الثانية اسم «الأسفار القانونية الثانية δευτεροκανονικά»، وهي التي لم ينف عنها فائدتها ولم ينكر أنها مسلَّمة من الآباء، بل حدد استعمالها لتعليم الموعوظين في حياة القداسة والتقوى. والعجيب أن الكنيسة القبطية ملتزمة تماماً بهذا المعنى في توزيع

---

(٣٦) يقصد الموعوظين.

قراءاتها الكنسية. وما تبقَّى لدينا الآن من معرفة بنظام هذه القراءات يوحي لنا أن القسم الأول من القداس الإلهي المسمَّى باسم «ليتورجية الكلمة»، وكان مسموحاً للموعوظين بحضوره، تضمَّن في قراءات الصوم الكبير – وهو موسم إعداد الموعوظين لقبول المعمودية المقدَّسة في نهاية الصوم المقدَّس – مختارات من سفريْ الحكمة لسليمان ويشوع بن سيراخ.

كذلك يقول القديس أثناسيوس إن كلمة «أبوكريفا» تُطلق على كتابات الهراطقة والمبتدعين. لذلك كان من الظلم إطلاق هذا الاسم مؤخراً على الأسفار المحذوفة من الكتاب المقدَّس في طبعاته الحديثة.

المجموعات القانونية في الكنيسة القبطية:

وفي متابعتنا للتقليد الكنسي في مصر نرى المجموعات القانونية المستقرة في الكنيسة سائرة في نفس الخط والتعليم. فالقانون الخامس والعشرون من الكتاب الثاني لقوانين الرسل(٣٧)، يعدِّد كتب العهد القديم شاملة كل ما جاء في الترجمة السبعينية، ويضيف نفس الملاحظة التي جاءت في رسالة القديس أثناسيوس الفصحية [وهؤلاء (أي الكتب التالية) يتعلم فيها أطفالكم(٣٨) "حكمة سليمان، يهوديت، ثلاثة كتب للمكابيين(٣٩)، حكمة يشوع بن سيراخ الكثيرة التعليم"].

---

(٣٧) هذه القوانين يقابلها الفصل ٤٧ من الكتاب الثامن من «المراسيم الرسولية»، والذي يعود تاريخه إلى سنة ٣٨٠م.

(٣٨) كان الموعوظون والمعمَّدون حديثاً يُدعون أطفالاً (راجع عب ٥:١٣، ١بط ٢:٢).

(٣٩) بعض تقاليد الكنائس الشرقية تنسب أسفار المكابيين إلى يوسيفوس المؤرخ اليهودي في القرن الميلادي الأول، كما يذكر ذلك ابن العسال في «المجموع الصفوي».

ويستمر هذا التقليد حتى يذكره ابن العسال في القرن الثالث عشر في مجموعته القانونية «المجموع الصفوي» في الباب الثاني عشر، عن: «كتب الأصول المقبولة»:

[الكتب المأمور بقبولها في البيعة المقدَّسة؛ وهي الكتب التي يتخذها المؤمنون في الكنيسة؛ كتب العتيقة: التوراة خمسة أسفار، يشوع بن نون كتاب واحد، سفر القضاة واحد؛ كتاب راعوث؛ كتاب يهوديت؛ أسفار الملوك أربعة(٤٠): الأول والثاني كتاب واحد، والثالث والرابع كتاب؛ سفر باراليبومينون(٤١) كتابان؛ كتابان لعزرا الكاتب(٤٢)؛ أستير كتاب؛ طوبيت كتاب؛ أيوب كتاب؛ المزامير لداود كتاب؛ سليمان أربعة كتب: الأمثال، قوهلت(٤٣) (أي الجامعة)، نشيد الأنشاد، الحكمة؛ كتب الأنبياء الستة عشر، الكبار أربعة: إشعياء، إرمياء، حزقيال، دانيال؛ والصغار اثنى عشر: هوشع، يوئيل، عاموس، عوبيديا، يونان، ميخا، ناحوم، حبقوق، صفنيا، حجِّي، زكريا، ملاخي. وخارجاً عن ذلك «حكمة يشوع بن

---

(٤٠) راجع الهامش رقم (٣٣).

(٤١) παραλειπομένων من الفعل παραλείπω بمعنى يترك، يفضل عنه؛ ولذلك تُرجمت في بعض المخطوطات باسم أسفار «فضلات الملوك». ويقابله سفرا «الأيام الأول والثاني» في الطبعة البيروتية للكتاب المقدَّس.

(٤٢) راجع الهامش رقم (٣٤).

(٤٣) كلمة «قوهلت» هو اسم السفر العبري، حيث اعتاد اليهود أن يأخذوا عنوان كل سفر من الكلمة الأُولى في بداية السفر

سيراخ» لتعليم الأطفال؛ وكتاب يوسف بن قاريون وهو كتاب المكابيين(٤٤)].

وأخيراً يذكرها «أبو البركات بن كبر» في موسوعته الضخمة: «مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة»، بتفصيل وشرح لكل سفر من العهد القديم في الباب الذي خصصه عن: «الكتب الواردة في ديوان البيعة».

ولا يغيب عن القارىء أن مجموعاتنا القانونية العربية لم تُدرس بعد دراسة تفصيلية بتجميع ومقارنة المخطوطات الموزعة في مكتبات ومتاحف العالم فضلاً عمَّا هو موجود في المتحف القبطي ومكتبة البطريركية والمخطوطات المحفوظة في مكتبات الأديرة القبطية، حتى يمكن تحقيق نصوصها للوصول إلى ما جاء فيها من عدد وترتيب وأسماء أسفار العهد القديم، لتفادي ما حدث نتيجة إهمال النسَّاخ أو عدم فهمهم لبعض المصطلحات اليونانية والقبطية. لذلك ليس غريباً أن نجد أسماء بعض كتب العهد القديم في المخطوطات دون البعض الآخر.

---

(٤٤) راجع الهامش رقم (٣٩).

الفصل الثالث

أقدم البرديات والمخطوطات للترجمة السبعينية

مغارات قمران في فلسطين:

عُثر في هذه المغارات على ثمانية رقوق قديمة (أي دَرْج scroll) لأُولى محاولات التقريب بين الترجمة السبعينية الخارجة من مصر والمتداولة في ذلك الوقت، وبين النصوص العبرية الشائعة في فلسطين. ويرجع تاريخ هذا الدَرْج - الذي عُثر عليه في مغارة رقم ٤ - إلى القرن الثاني والأول قبل الميلاد، وهي لأجزاء من أسفار الخروج، العدد، التثنية، صموئيل.

ولنلاحظ أن اليهود حافظوا على استعمال الدَرْج الملفوف لتدوين الأسفار المقدَّسة سواء للأصل العبري أو الترجمة السبعينية منذ عصور قديمة[١]، وربما حتى زماننا الحاضر في دولة إسرائيل. وحتى بعد أن رذلوا السبعينية استمروا محافظين على تقليدهم هذا في التسجيل على «الدَرْج»، وليس على «المجلّد Codex» الذي صار منذ القرون المسيحية الأُولى سمة

(١) يأمر التلمود اليهودي أن تكون التوراة منسوخة على دَرْج ملفوف.

مميزة للمخطوطات المسيحية سواء للعهد القديم أو الجديد. فإذا عُثر على أية تسجيلات على «درج ملفوف»، تحدَّد أنه يخص المجمع اليهودي، بينما التسجيلات التي على الرقِّ وجلود الحيوانات والمحفوظة بنظام المجلَّدات Codex تحدد أنها تخص كنيسة أو أفراداً مسيحيين.

البرديات المصرية Papyrus(٢):

١ – أقدم بردية وُجِدَت لأجزاء من السبعينية هي P.485 يوناني بمكتبة جون ريلاندز بمدينة مانشستر بإنجلترا، يعود تاريخها إلى القرن الثاني قبل الميلاد، وتشمل الأجزاء التالية من العهد القديم: تث ٢٣:٢٤–٢٤:٣؛ ٢٥:١–٣؛ ٢٦:١٢و١٧–١٩؛ ٢٨:٣١–٣٣.

٢ – بردية P.37 بالمتحف البريطاني، وهي أول ما اكتُشف من برديات الكتاب المقدَّس سنة ١٨٣٦م في الأقصر (طيبة) وتحوي الجزء الأكبر من مز ١٠–٣٤.

٣ – مجموعة Freer اليونانية المحفوظة في واشنطون، وترجع إلى القرن الثالث بعد الميلاد متضمنة أسفار الأنبياء من عا ١:١٠ حتى ملاخي النبي.

٤ – بردية P.656 من البهنسا (أكسيرنخوس) محفوظة بمكتبة بودليان في أكسفورد بإنجلترا، وهي من القرن الثالث الميلادي عبارة عن أربعة أوراق تتضمن شذرات من سفر التكوين.

٥ – بردية P.66 I,II بمتحف الدولة ببرلين مكونة من ٣٢ ورقة، يحتمل أن تاريخها يرجع إلى القرن الرابع الميلادي شاملة الجزء الأكبر من

---

(٢) ويرمز لها في الأعمال العلمية بالحرف الأول .P وبجوارها الرقم الدال عليها.

سفر التكوين حتى تك ٣٥:٨.

٦ – بردية P.1 بمكتبة هايدلبرج بألمانيا، لأجزاء من زك ٤:٦– ملا ٤:٥.

٧ – بردية P.2486 بالمتحف البريطاني، من القرن الرابع الميلادي، وتحتوي على أجزاء من سفر نشيد الأنشاد ٥:١٢–٦:١٠.

٨ – بردية تشستر بيتي(٣) P.4 و P.5 لسفر التكوين ٩:١– ٢٢:٤٤؛ ١٣:٨ – ٩:١؛ ٢٤:١٣ – ٢٥:٢١؛ ٣٠:٢٤ – ٤٦:٣٣، وتاريخها هو القرن الثالث الميلادي.

٩ – برديات تشستر بيتي أيضاً من P.6 إلى P.11، ويتراوح تاريخها بين منتصف القرن الثاني الميلادي حتى الرابع، وتُعتبر P 6 من أقدم الشواهد على الترجمة السبعينية. وتشمل هذه البرديات أجزاء من التوراة وأسفار إشعياء، وإرميا، وحزقيال، ودانيال، وأستير، والجامعة.

١٠ – برديات شايد Sheide، وهي عبارة عن ٢٢ ورقة من نفس المجموعة التي اشتراها مستر تشستر بيتي، ومودعة في مكتبة جامعة برنستون بأمريكا.

ونختتم هذا الجزء بأقدم بردية معروفة للترجمة السبعينية يرجع تاريخها إلى القرن الثاني والأول قبل الميلاد محفوظة في القاهرة تحت رمز P.Fouad 266 تشمل أجزاء من سفر التثنية ٣١:٢٨–٣٢:٧. وتتميز هذه البردية أن اسم «الجلالة» (الله) المذكور فيها مكتوب بحروف

---

(٣) Chester Beatty كان رجل أعمال أيرلندي، اشترى من الفيوم مجموعة برديات للكتاب المقدَّس بعهديه القديم والجديد.

عبرية وليست يونانية.

وإذا اتجهنا إلى المخطوطات الكاملة المحفوظة على شكل ملازم ومجلدات، والمعروفة باسم Codex ومكتوبة على جلود حيوانات vellum (رقّ غزال) نجد أن أقدم وأهم ما لدينا منها هو:

١ - **المخطوطة السينائية** Cod. S، ويتكون النص السبعيني فيها من ١٥٦ ورقة (بخلاف العهد الجديد) بالإضافة إلى ٤٣ ورقة أخرى محفوظة في متحف الدولة بليبزج بألمانيا. والذي اكتشف هذه المخطوطات في دير سانت كاترين بسيناء سنة ١٨٥٩م هو العالم الألماني الرحالة قسطنطين تشندورف، وحمل منها ٤٣ ورقة أودعها متحف ليبزج، ثم عاد بخطاب توصية من قيصر روسيا وقتئذ (وكان يُعتبر حامي كنائس وأديرة الروم الأُرثوذكس)، وأخذ باقي المخطوطة. وبعد دراستها ونشرها أودعها مكتبة لينتجراد بروسيا حتى قيام الثورة الشيوعية هناك، فاشتراها المتحف البريطاني سنة ١٩٣٣م بمبلغ مائة ألف جنيه استرليني، وصارت أثمن درَّة في مقتنيات متاحف إنجلترا.

يرجع تاريخ نساخة هذه المخطوطة إلى حوالي سنة ٣٥٠م، وهي كاملة فيما عدا الأوراق التي حُملت إلى ليبزج، ولا تحوي سفريْ المكابيين الثالث والرابع. ولكنها تتميز بنصٍّ مطوَّل لكتاب طوبيت يختلف عن الموجود في المخطوطات الأخرى ويرجَّح أنه النص الأصيل.

٢ - **المخطوطة الفاتيكانية**، ورمزها Cod. V أو Cod. B من القرن الرابع أيضاً، محفوظة كاملة منذ سنة ١٤٧٥م في مكتبة الفاتيكان ولا ينقص منها سوى تك ١:١-٤٦:٢٨، ٢صم ٢:٥-٧و١٠-١٣،

مـز ١٠٦: ٢٧-١٣٨:٦٠ وأربعـة أسـفار المكـابيين. ولم يُسمح بالاطلاع عليها إلاَّ منذ سنة ١٨٥٧م وتصويرها سنة ١٨٨٨م بسبب جمال نساختها وحروفها. وقد انتهت الدراسات التي جرت على نصوصها أنه هو النص التقريبي الذي كان أمام أوريجانوس أثناء وضع مؤلفه الضخم المسمَّى «الهكسابلا». لذلك يميل أغلب العلماء إلى أن نصها هو الذي كان شائعاً لدى كنيسة الإسكندرية، لذلك يمكن اعتباره أنه أقدم وأفضل الموجود من نصوص السبعينية.

وإلى عهد قريب، كان يُظن أن المخطوطة السينائية S والفاتيكانية B يُعتبران من ضمن الخمسين مجلداً التي أهداها الإمبراطور قسطنطين الكبير لكنائس عاصمته الجديدة «القسطنطينية»(٤). لكن الفحص الحديث أثبت أن النص الشائع فيهما هو النص المصري المنقَّح. لذلك اجتهد العلماء في ترجيح أماكن أخرى صدرت عنها هاتان المخطوطتان. ويكاد يكون الإجماع على ترشيح مدينة قنسطانس، وذلك لأننا نعلم من دفاع أثناسيوس الرسولي المرفوع للإمبراطور قنسطنطيوس سنة ٣٥٦م، أن القديس أثناسيوس قدَّم نسخاً منذ خمس عشرة سنة هدية لهذه المدينة، أي بين سنتي ٣٣٩-٣٤٠م. هذا الترجيح يشرح على الأقل كيفية وصول النص المصري المنقَّح للترجمة السبعينية قريباً من روما. ويزيد من صحة هذا الترجيح أن ترتيب تجليد الأسفار وعددها في المخطوطة الفاتيكانية يتمشى تماماً مع ما جاء في رسالة القديس أثناسيوس الفصحية سنة ٣٦٧م، بل إن وَضْع رسالة العبرانيين في هذه المخطوطة، وهي من رسائل العهد الجديد،

---

(٤) EUSEB., Vita Const. IV, 35-37.

هو بنفس الترتيب الموضوع في قانون الأسفار المقدَّسة كما جاء في رسالته الفصحية. هذه الأسباب جميعاً تزكّي الرأي القائل أن المخطوطة الفاتيكانية هي واحدة من الهدايا التي قدمها القديس أثناسيوس لمدينة قنسطانس.

٣ - **المخطوطة الإسكندرانية**، ويرمز لها Cod. A، من القرن الخامس الميلادي. وكان بطريرك الإسكندرية للروم الأرثوذكس كيرلس لوكار قد أهداها لملك إنجلترا شارل الأول سنة ١٦٢٧م. هذه المخطوطة محفوظة كاملة إلاَّ من مز ٤:١٩-١٠:٧٩ وبعض الفراغات في سفر التكوين. لكنها تشمل سفريْ المكابيين الثالث والرابع. وتتميز هذه المخطوطة بالتقسيم الليتورجي لمزاميرها، حيث تسبقها رسالة القديس أثناسيوس الرسولي عن المزامير(٥)، كما أُلحق بها أيضاً التسابيح التي ما زالت تنفرد الكنيسة القبطية بتلاوتها ليلة سبت النور(٦).

وقد استقر العلماء على أن مصدر هذه النصوص هو مصر، ويرجِّح البعض منهم أنها هي النص المنقَّح الذي قام به الأسقف حزقيوس أسقف تمي(٧). والذي يلفت النظر أن أغلب اقتباسات العهد الجديد من أسفار العهد القديم اليوناني تقترب جداً من نصوص هذه المخطوطة أكثر من المخطوطة الفاتيكانية.

وهناك عديد من مخطوطات أخرى تحمل الرموز Cod. C (القرن

---

(٥) والتي ترجمها بيت التكريس بحلوان سنة ١٩٦١م كمقدمة لكتاب: «تفسير المزامير»، للقديس أغسطينوس.

(٦) قام المرحوم إقلاديوس لبيب بنشر ترجمتها القبطية والعربية في كتاب: «زبور داود النبي والملك مع التسابيح» سنة ١٨٩٧م بالقاهرة.

(٧) راجع صفحة ٥٣.

الخامس بباريس)، Cod. D (القرن الخامس، المتحف البريطاني)، Cod. G (القرن الخامس، جامعة لايدن بهولندا)، ولكن تحوي بعض الأسفار دون البعض الآخر. وهي جميعاً - بما في ذلك الثلاث المخطوطات الكبار، مكتوبة بحروف يونانية منفصلة uncials؛ بينما توجد مجموعة ثانية متأخرة كُتبت بحروف متصلة minuscule يبلغ عددها ما يزيد عن ثلثمائة مخطوطة.

والمحصلة النهائية التي يودُّ العلماء أن تصل إلى القارىء، هو أن ما عُثر عليه تحت رمال مصر من برديات، وما اكتشف من أدراج ملفوفة في خرائب قمران ومغارات وادي المربعات في فلسطين، وهي آثار يمتد تاريخها من القرن الثاني قبل الميلاد حتى عصر المجلدات الكبرى المتكاملة في القرنين الرابع والخامس، كلها تدل على أن عملية النقل والنساخة كانت مستمرة بدون انقطاع ولا توقف عبر ستمائة سنة؛ وأن تداول الترجمة السبعينية بين يدي الكنيسة المسيحية الشرقية عبر يهود القرن الأول قبل وبعد الميلاد تمت دون محاولة من أحد الطرفين لتغيير أو تزييف النصوص، رغم العداء الذي بدأ ظهوره عقب فشل ثورة ابن كوكب اليهودية سنة ١٣٥م في فلسطين.

إذاً، ليس هناك أدنى شك أن وراء محاولات التنقيح والتصحيح نتيجة الأخطاء المتراكمة من النسَّاخ أو إهمالهم نصاً واحداً هو الترجمة السبعينية. وهذا هو اجتهاد علماء السبعينية في النصف الثاني من القرن العشرين للوصول إليه كما حدث بالنسبة للنص العبري للعهد القديم في النصف الأول من هذا القرن.

الفصل الرابع

الترجمة القبطية للعهد القديم

نشأة اللغة القبطية:

كان نتيجة تداخل اليونانيين مع الشعب المصري وتبادل المعرفة بينهما، أن بدأت المحاولات منذ القرن الثاني قبل الميلاد لكتابة اللهجة العامية للمصريين بحروف يونانية. لكن المحاولة الجادة لكتابة اللغة المنطوقة والمتداولة في الحياة اليومية بين سكان الريف والحضر، سواء في الدلتا أو في الصعيد، ترجع بلا شك إلى الجهد التبشيري الذي قامت به كنيسة الإسكندرية منذ القرن الثاني الميلادي، وعلى وجه التحديد في عصر البابا ديمتريوس البطريرك الثاني عشر (١٨٩-٢٣٢م). فالثقافة اليونانية الرفيعة قاصرة على النخبة الغنية المتعلِّمة من المجتمع المصري اليوناني المتمركز في عواصم المقاطعات. أمَّا هدف الكنيسة الكرازي، وهم عامة الشعب، فالدخول إليهم بالبشارة الجديدة المفرحة عن الخلاص والفداء، وبلهجتهم التي يتخاطبون ويتعايشون بها كل يوم، كان يحتم ضرورة وجود وسيلة مكتوبة للتخاطب والوعظ والتعليم. فلا بد من قراءة الإنجيل والعهد القديم ليفهموه من فوق منابر الكنائس وفي الخدمات الليتورجية؛ بل وداخل البيوت أيضاً لأجل الصلاة والتسبيح الفردي والعائلي.

وفي رأي البروفسور تيتو أورلاندي([1])، أن اللغة القبطية لم تنشأ تحت الظروف الطبيعية المألوفة كسائر لغات العالم، بل هي استجابة مصرية للديانة المسكونية الجديدة التي كانت تغزو العالم اليوناني الوثني، أي الديانة المسيحية. وعملية تخليق "synthesis" اللغة القبطية بهذا المعنى تشرحه حقيقتان: أولاً عدم وجود أدب قبطي مبكِّر يتناسب مع احتياجات الحياة اليومية إلاَّ نصوص سحرية قليلة ليست ذات مغزى. والحقيقة الثانية أن المجموعة الأساسية للنصوص القبطية، التي هي الكتاب المقدَّس، يبدو فيها العناية البالغة للاحتفاظ بالسمات المميزة للأصل اليوناني، مثل التنفُّس الهائي breathing ونهاية الكلمات؛ وهذه قد جعلت الكلمة القبطية تشرح حقيقة النطق اليوناني الشائع في الأوساط المثقفة خلال القرنين الثاني والثالث الميلادي.

فاللغة القبطية بهذا المفهوم، هي عمل جماعة من العلماء كمحصلة مقصودة في ذاتها لعملية بدأها أشخاص معلِّمون ذوو ثقافة رفيعة[2]، يبحثون عن وسيلة جديدة تمكِّنهم من التعبير عن أفكار لاهوتية عالية تنقل التراث المسيحي السامي المذَّخر في كنيسة الإسكندرية باللغة اليونانية.

([1]) أستاذ بجامعة روما، وأكبر علماء اللغة القبطية المعاصرين. وقد أقام مركزاً للدراسات القبطية في روما مجهزاً بأحدث الوسائل الإلكترونية والتكنولوجية لجمع المعلومات والدراسات عن المخطوطات القبطية المبعثرة في متاحف العالم ومكتباته. ويتصل مباشرة بالعقل الإلكتروني للجامعة، والذي يُعتبر واحداً من أكبر العقول الإلكترونية في أوروبا. (عن مجلة: *Coptic Church Review;* vol. 7 no 3 p. 68.).

([2]) المقصود طبعاً آباء كنيسة الإسكندرية؛ سواء بطاركة أو أساتذة المدرسة اللاهوتية هناك.

وهكذا كانت الكنيسة هي الدافع لقيام اللغة القبطية كوسيلة أدبية مكتوبة ومقروءة على البرديات والرقوق حتى تكون بين يدي الشعب المتلهِّف على المعرفة الدينية، والتي هي إحدى خصائص الإنسان الفرعوني القديم.

ولذلك نسمع عن قراءة بالقبطية في كنيسة ريفية بإحدى قرى مصر الوسطى، إذ دخل الشاب الحدث «أنطونيوس» (من مواليد سنة ٢٥٠م تقريباً) إلى كنيسة قريته «قمن العروس» ليسمع الشماس يقرأ من الإنجيل فصلاً باللغة القبطية التي يدركها عن ترك كل شيء[٣]. وقوانين القديس باخوميوس المحفوظة بالقبطي الصعيدي سنة ٣٢١م توصي طالبي الرهبنة إجادة قراءة الكتب المقدَّسة، والتي كانت مترجمة بالقبطية وقتئذ. ولا يظن القارىء أن ترجمة العهد الجديد سبقت العهد القديم، حيث نعلم من قصة القديس بولا البسيط مع الأخ التائب أنه أثناء دخوله الكنيسة سمع فصلاً من إشعياء النبي[٤]. فالكنيسة كانت تختار قديماً قراءاتها من العهدين.

---

(٣) وهو من مت ١٩:٢١. ومعروف أن القديس أنطونيوس لم يكن يعرف اليونانية.

(٤) فقال الأخ التائب: «... فأنصتُّ إلى القراءات (الكنسية)، وسمعت إشعياء يقول: "اغتسلوا، صيروا أنقياء. أزيلوا شروركم من أمام عيني ... تعالوا نتناظر يقول الرب..."» (بستان الرهبان، بني سويف، الطبعة الثانية صفحة ٢٨٢).

كما يذكر يوحنا كاسيان أن الجماعات الرهبانية في مصر كانت تقرأ كل يوم في خدمات نصف الليل والغروب فصلين من الكتاب المقدَّس، أحدهما من العهد القديم والآخر من الجديد (Instit. II, 6).

وحيث أن المركز الثقافي للكنيسة المصرية وقتئذ كان في الإسكندرية موطن الترجمة السبعينية، صار من الطبيعي أن تتم الترجمة من هذا النص. ومعروف أن أقدم اللهجات القبطية هي الصعيدية، التي صارت هي اللهجة السائدة في كل أنحاء مصر منذ القرن الرابع حتى العاشر، بفضل الأعمال والكتابات والعظات للقديسين العظام مثل أنطونيوس وباخوميوس وتلاميذهما؛ ومن بعدهما القديس شنودة الأتريبي. ومع وجود لهجات أخرى مثل الفيومية والأخميمية وفروعهما، إلاَّ أن نصوص العهد القديم الباقية منها، والتي تمَّت دراستها، تدل على أنها كانت مترجمة عن الصعيدية.

على أنه لم يعثر بعد على العهد القديم كاملاً باللهجة الصعيدية، وما تم دراسته ونشره منها، وهما سفري أيوب والمزامير، اتضح أنها متفقة تقريباً مع ما جاء في البرديات القديمة أي قبلما يضع أوريجانوس عمله الضخم «الهكسابلا». وهذا يجعلنا متيقنين أن نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث، هو عصر الترجمة القبطية من السبعينية.

وقد وصلت إلى نفس هذه النتيجة دراسات «علم الخط القديم Paleography». فهناك بعض الهوامش باللهجة الفيومية على مجموعات تشستر بيتي عن سفر إشعياء، وهوامش أخرى بالصعيدية على مجموعة واشنطن، وشبه قاموس glossary للكلمات اليونانية وما يقابلها في اللغة القبطية على سفريْ هوشع وعاموس؛ وجميعها بحسب «علم الخط القديم» ترجع إلى القرن الثالث الميلادي.

ومع بدء تدهور اللهجة الصعيدية نتيجة دخول العرب أرض مصر سنة ٦٤٢م، والإلتزام بالتعامل بالعربية من منتصف القرن الثامن،

بدأت اللهجة البحيرية تأخذ مكان الصعيدية؛ فهي لهجة إقليم وادي النطرون حيث انتقلت إلى أديرتها الإدارة الكنسية والبطريرك بعد مغادرتهم الإسكندرية نتيجة للضغط المتزايد والاضطهادات المتوالية من الولاة الخلقيدونيين في القرن السادس. فصارت المراسلات والمخاطبات بين البطريرك والأساقفة بالبحيرية، وإليها تُرجمت الخدمات الكنسية والأسفار المقدَّسة، حتى إنه لمَّا تخربت برية شيهيت سنة ٨١٧م، أُعيد نسخ المخطوطات في الأجيال التالية مترجمة من الصعيدية إلى البحيرية. وأقدم ما عُثر عليه من نصوص العهد القديم بالبحيرية يرجع إلى سنة ٨٣٠م.

وأسفار العهد القديم المكتوبة بهذه اللهجة تعتبر كاملة تقريباً، وتكاد تقترب من النص المنقَّح لحزقيوس أسقف تمِّي في القرن الرابع. أمَّا المزامير فتتفق مع ما جاء في النص السبعيني الكائن في المخطوطة الفاتيكانية.

وبالنسبة للهجات الأخرى المتفرعة منها كالفيومية والأخميمية، فيمكن القول بصفة عامة أن جميع أسفار العهد القديم كانت مترجمة لمختلف اللهجات بحسب ما لدينا من آثار قليلة باقية. وترجع أهمية هذه الترجمات إلى أنها جميعاً سابقة على عمل «الهكسابلا».

أهمية الترجمات القبطية لدراسة نص السبعينية:

إن وجود مخطوطات قبطية مأخوذة عن النص السبعيني ترجع إلى القرن الثالث والرابع الميلادي، يُعتبر برهاناً ذا أهمية كبرى للأصل اليوناني الذي أُخذت عنه. وقد تجدد الاهتمام بالترجمات القبطية للعهد القديم اليوناني بعد العثور على رقوق من البحر الميت في فلسطين سنة

١٩٥٢م متضمنة أجزاء من العهد القديم باللغة اليونانية، فقام العالم الفرنسي الأب بارثولومي (من مدرسة الكتاب المقدَّس بأورشليم) بفحص هذه الرقوق وعمل دراسة عن النصوص اليونانية وعلاقتها مع الترجمات القبطية الصعيدية للأنبياء الصغار، والتي سبق أن نشرها العالِم الدانمركي Grossouw سنة ١٩٣٨م.

وكان ما لفت نظره هو ظاهرة شائعة في الترجمة القبطية، تنبىء عن محاولة مستمرة وأساسية لتكييف الترجمة القبطية لتّتفق مع النص العبري الماسّوري، وقدَّم ٢٠٠ شاهداً من الصعيدية والأخميمية تكشف عن وجود محاولات للتوافق مع النص العبري الماسّوري دون وجود أي سند يؤيدها من الأصل اليوناني السبعيني. واستبعد هذا العَالِم في دراسته هذه وجود تأثيرات يهودية صادرة عن النص العبري. فكان الاحتمال الأقرب هو تأثُّرها بترجمات أكويلا وسيماخوس وغيرهما من ترجمات لا يعرف العالم عنها شيئاً. والنتيجة الحتمية لهذه الدراسات انتهت إلى أن العمود الخامس الذي جاء به أوريجانوس وسماه باسم «ثيئودوسيون Θ»، هو النص الوحيد الذي يعطي تفسيراً مقبولاً للترجمات القبطية ذات التأثيرات العبرية الموجودة في البرديات القديمة مثل بردية واشنطن.

ويعود العالم الألماني P. KAHLE فيرى في الترجمة الصعيدية للأنبياء الصغار شهادة تسبق النص السرياني للهكسابلا بمقدار أربعة قرون، والمعتبر أنه المصدر الرئيسي المتوفر لدينا للعمود الخامس من الهكسابلا.

أمَّا عالِم الكتاب المقدس اليوناني "NESTLE" الألماني الجنسية

فيرى في الترجمة القبطية لكتاب المزامير أنها قريبة جداً من الترجمات اللاتينية القديمة OL، مثل آية المزامير المشهورة «الرب قد ملك على خشبة ἐβασίλευσεν ἀπὸ ξύλον» (مز ٩٥ : ١٠ حسب القبطية، ولكنها غير موجودة في النص السبعيني)، وكانت موضع خلاف بين يوستينوس الشهيد في حواره مع تريفو اليهودي. وقد نشر سير واليس بادج عالم الأثريات المصري كتاب المزامير القبطية عن مخطوطات المتحف البريطاني سنة ١٨٩٨م بعنوان «أقدم كتاب للمزامير بالقبطية» وأظهرت الدراسات التالية عليه أنه يعتبر أكمل نص مترجم عن اليونانية للمزامير، كما يتميز بخصائص فريدة غير متوفرة في الترجمات الأخرى، بل وفي النص اليوناني الأصلي، مثل الآية السابقة من مزمور ٩٥ : ١٠.

وقد نُشرت بعد ذلك مخطوطة من برلين للمزامير باللهجة الصعيدية ترجع إلى سنة ٤٠٠م، ومن شيكاغو خرجت مخطوطة قبطية عن سفر الأمثال سنة ١٩٣٩م، ومن متشجن سنة ١٩٤٢م مخطوطات قبطية، والترجمة الأخميمية للأنبياء الصغار من الدانمرك سنة ١٩٢٧م.

ولا زالت هناك مخطوطات كثيرة قبطية تحت البحث والدراسة، ولا بد أن تأتي بنتائج هامة حينما يتم تحقيقها ونشرها.

الفصل الخامس

السبعينية والترجمات العربية الحديثة للعهد القديم

السؤال الذي يتبادر إلى ذهن القارىء بعدما عرضناه حتى الآن من مصادر وتاريخ وتطور العهد القديم في ترجمته اليونانية: ما هو سبب اختلاف نصوص العهد القديم، وترتيب أسفاره كما نتداولها الآن عن السبعينية التي تستخدمها الكنيسة في خدماتها الليتورجية؟

بادىء ذي بدء، ينبغي أن نعرف أن ما لدينا الآن من ترجمات عربية للعهد القديم، سواء الصادرة حديثاً عن جمعية الكتاب المقدس أو التي طبعها الآباء اليسوعيون في لبنان، أو المشهورة باسم «ترجمة تفسيرية»، هي جميعاً مترجمة عن أصل عبري حسب النص اليهودي التقليدي المعروف باسم «النص الماسّوري»(١)؛ لذلك نجد الألفاظ متقاربة والمعاني واحدة. لكن تتميز طبعة الآباء اليسوعيين بإضافة الأسفار المحذوفة التي لا تعترف بقانونيتها الكنائس الإصلاحية البروتستانتية، وهي التي تساهم في جميعات الكتاب المقدَّس لنشره باللغات المحلية في كل أنحاء العالم.

---

(١) ورمزه المختصر MT من الكلمتين Massoretic Text ومعناها «النص التقليدي».

نشأة النص الماسّوري:

ترجع الاختلافات بين السبعينية وبين النص الماسّوري العبري إلى المراحل التاريخية التي تطور منها كل نص حتى وصل إلينا في وضعه الحالي. فبعد خراب هيكل أورشليم سنة ٧٠م وانهيار شعب إسرائيل كدولة ثيئوقراطية يحكمها الله كملك، وتجمع حوله عبادةً ومذبحاً وهيكلاً وكهنوتاً؛ بدأت مرحلة تاريخية جديدة لليهود الباقين بعد هذه الضربة القاصمة. فاجتمع مَنْ تبقَّى من الفريسيين والرابِّيين في قرية «يمنيا» أو «يبنه» على البحر الأبيض المتوسط وأنشأوا مدرسة جديدة تهدف إلى تجميع التراث اليهودي والمحافظة عليه بشتى الوسائل لئلا يُبتلعوا أمام فيضان التيار المسيحي الجارف. وأول عمل قاموا به هو تكتيل اليهود حول التوراة وكتب الأنبياء والكتابات المقدَّسة ليستعيضوا بها عن الهيكل والذبائح.

وهذا التجميع لم يكن أمراً سهلاً لأن الفترة السابقة للقرن الأول الميلادي كانت تتميز بالكثير من الكتابات الرؤيوية عن الرجاء المسياني الموعود والأرض التي تفيض لبناً وعسلاً، بالإضافة إلى الكتابات التاريخية المقدَّسة التي تتحدث عن تاريخ اليهود بعد عصر عزرا الكاهن ونحميا. ثم هناك كَمٌّ هائل من الأدب اليوناني الذي وضعه اليهود أو ترجموه عن أصول عبرية وأرامية موجود بين يهود الشتات. بل حتى النصوص العبرية للأسفار الإلهية لم تكن موحَّدة؛ بل كان فيها نوع من «السيولة» بسبب كونها طبعات شعبية سهلة التداول ولذلك يصعب ضبط نصوصها. وأخيراً كان هناك عامل خطير يهدد كيان الأمة اليهودية، وهو التفاسير التي أعطاها رسل المسيح وتلاميذهم من بعدهم

لنبوات وكتابات العهد القديم التي عرفت خارج فلسطين باسم «الترجمة السبعينية».

كل هذه العوامل حتّمت أن يتخذ معلمو مدرسة طبرية موقفاً حازماً ويقرروا ما ينبغي قراءته في مجامعهم، أو ما يُدخلونه إلى بيوتهم للمطالعة فيه. لذلك حدد الرابيّون حوالي سنة ٩٠م – تحت رئاسة الرابِّي حنانيا بن زكّا – الأسفار القانونية المعترف بها لدى اليهود الآن واستبعدوا ما عداها، وأوصوا أن [... الذي يأتي في بيته بكتابات أخرى بخلاف الأربعة والعشرين سفراً (أي الكتب القانونية اليهودية) يأتي على نفسه وعلى بيته بالبليَّة] (مدراش الجامعة ١٢:١٢)

والرابِّي ابن عقيبة يقول: [... الذي يقرأ الكتب الخارجة (أي أسفار الترجمة السبعينية التي لم تدخل القانون اليهودي) ليس له نصيب في الحياة الآتية] (التلمود الأورشليمي)

والقاعدة القانونية التي اصطلحوا عليها لتحديد مفهوم الكتابات الإلهية هي ألاّ تكون بعد عصر عزرا الكاهن أي القرن الرابع قبل الميلاد. وبذلك خرجت كل أسفار السبعينية التي ليس لها أصل عبري معروف، مثل سفر طوبيت، أو التي تم وضعها باليونانية مثل سفر «الحكمة لسليمان» وأسفار المكابيين عن القاعدة القانونية للأسفار العبرية.

ويعبِّر يوسيفوس المؤرخ اليهودي في القرن الأول الميلادي(٢) عن وجهة النظر اليهودية بخصوص تقنين أسفار العهد القديم قائلاً إن

---

(٢) JOSEPH., *contra Ap.* I, 8:38-42.

عددها محدد وأنها مقدَّسة لأنها تتميز عن أية كتابات أخرى بمصدرها الإلهي، لذلك صار لها السلطان الأول والأسمى؛ وأخيراً لأنها كُتبت فيما بين عصر موسى النبي وأرتحشستا ملك فارس (سنة ٤٢٣ ق.م)، وهو عصر عزرا ونحميا.

وبذلك دخلت بقية الأسفار التي نفاها مجمع يمنيا إلى طي النسيان عند اليهود منذ القرن الثاني الميلادي، فيما عدا سفر «حكمة يشوع بن سيراخ» الذي هرب من هذا القَدَر المحتوم على باقي الكتب، فاقتبس منه التلمود اليهودي، واستمر اليهود ينسخونه حتى القرن الثاني عشر الميلادي، كما يشهد بذلك ما خرج من رقوق عبرية من مجمع لعازر اليهودي بمصر القديمة في أوائل القرن العشرين.

ونتج عن الحرص الشديد في نَسْخ العهد القديم أن هبطت وظيفة الكاتب[٣] (γραμματεύς) التي كان لها من السمو والرفعة أيام السيد المسيح مما جعله يقول: «كل **كاتب** متعلِّم في ملكوت السموات يشبه رجلاً رب بيت يُخرج من كنزه جُدداً وعتقاء» (مت ١٣:٥٢). فلم تَعُد وظيفته لاهوتية تتعلق بالشروحات والتفاسير؛ بل صارت فنية منحصرة في ضبط النصوص ومراجعتها وإحصاء عدد الحروف لئلا يسقط حرف منها أثناء النساخة بسبب السهو أو النسيان. فعند إحصاء عدد حروف التوراة وجدوا أن حرف الواو في كلمة "جاحون" (لا ١١:٤٢) يقسِّم حروف التوراة إلى قسمين متساويين. وكلمتي: "داروش"، "داراش" أي «طلبه بإلحاح» (لا ١٠:١٦)، تمثِّل

(٣) «كاتب» في الأصل العبري = "سوفير"، من الفعل "سافار" أي «أحصى»، ومنها كلمة "سِفْر" أي «كتاب».

منتصف عدد كلمات التوراة.

وبعد تحديد عدد أسفار العهد القديم العبري سنة ٩٠م كان لا بد أيضاً من توحيد وتثبيت النصوص. والشخصية الرئيسية وراء تثبيت «النص الماسّوري» كان الرابّي «ابن عقيبة»، الأب الروحي لثورة ابن كوكب اليهودية بين سنتي ١٣٢ و ١٣٥م.

ويتبع تثبيت النص العبري ضرورة اختراع نظام تشكيل الكلمات العبرية لضبط نطقها وبالتالي تفسيرها تفسيراً صحيحاً. وقد قدَّم التلمود اليهودي مثلاً لحوار قام بخصوص تشكيل كلمة «ذ ك ر» العبرية التي جاءت في (تث ٢٩:١٩)، هل تُنطق «ذِكْر» بمعنى «تذكار»، وهو التشكيل الذي أخذت به الترجمات الحديثة، أم تُنطق «ذَكَرٌ» بمعنى «رجل»؟

وهناك مثل واقعي أمامنا، ففي النص العبري الذي أخذت عنه السبعينية كان نُطْق كلمة «هـ م ط هـ» في (تك ٤٧: ٣١) هكذا «هَمَّطِّه» ومعناها «عصا». لذلك تُرجمت في السبعينية: «وسجد على رأس عصاه»، التي استشهد بها بولس الرسول في رسالته إلى العبرانيين (١١: ٢١). بينما نَطَقها الماسّوريون هكذا «هَمِّطَّه» بمعنى «سرير»، فجاءت هكذا في الترجمة العربية الحديثة: «وسجد على رأس السرير» (تك ٤٧: ٣١). وقد اشترك في عملية ضبط وتشكيل النص الماسّوري مدرستا طبرية بفلسطين وبابل في العراق(٤)، واستمرت حتى القرن الخامس الميلادي. لذلك كان أقدم أثر يعرفه العالم لمخطوطات العهد القديم العبري بحسب النص

---

(٤) راجع صفحة ١٤.

الماسّوري التقليدي، هو ما خرج من مجمع لعازر بمصر القديمة، ويرجع تاريخه إلى سنة ٨٩٥م. أمَّا مخطوطات قمران العبرية فكانت بدون تشكيل.

وترتيب الأسفار العبرية يختلف أيضاً عن السبعينية، إذ كان موضوعاً تحت ثلاثة أقسام كبرى حتى قبل أن يجتمع مجمع يمنيا اليهودي سنة ٩٠م، كما نرى من قول السيد المسيح لتلاميذه بعد قيامته: «... لا بد أن يتم جميع ما هو مكتوب عني في ناموس موسى (التُّورَاه) والأنبياء (نافِيِّيم) والمزامير[٥] (كِتُوفِيم)» (لو ٢٤:٤٤). ويميل المؤرخون إلى الرأي القائل أن هذا الترتيب يتفق مع أزمنة تجميعها وتقنينها لدى اليهود:

١ – التُّورَاه: أسفار التكوين، الخروج، اللاويين، العدد، التثنية.

٢ – نافِيِّيم (الأنبياء):

أ – الأولون: يشوع، القضاة، صموئيل (أول وثاني)، الملوك (أول وثاني).

ب – المتأخرون: الثلاثة الكبار: إشعياء، إرمياء، حزقيال؛ والاثنا عشر نبيًّا الصغار.

٣ – كِتُوفِيم (الكتابات المقدسة):

المزامير، الأمثال، أيوب، نشيد الأنشاد، راعوث، مراثي إرميا، الجامعة، أستير، دانيال، عزرا، نحميا، أخبار الأيام (الأُولى، والثانية).

وبهذا الترتيب تُطبع جميع أسفار العهد القديم العبرية بواسطة جمعيات الكتاب المقدَّس أو دور النشر اليهودية في العالم.

---

(٥) ربما اختار السيد المسيح من القسم الثالث اسم «المزامير» لأنه أول كتب هذا القسم، أو لأنه أكثر كتبه التي تنبأت عن السيد المسيح.

الفصل السادس

قانون أسفار العهد القديم شرقاً وغرباً

القانون الإسكندري لأسفار العهد القديم:

لم تكن أسفار العهد القديم محددة بصفة قاطعة قبل مجمع يمنيا سنة ٩٠م؛ بل كان هناك نوع من «المرونة» في مدى قبول هذه الأسفار واعتبارها إلهية. حقاً كانت التّوراه والأنبياء لهما قدسية خاصة وتنزُّه عن كل خطأ، وقد حظت بالتقديس في وسط اليهود منذ عصر مبكر وصارت مصدر التشريع والتعليم والمعتقدات بين عامة الشعب. وكانت تؤخذ منهما قراءات المجامع اليهودية في فلسطين: «ودخل المجمع حسب عادته يوم السبت وقام ليقرأ. فدُفع إليه سفر إشعياء النبي» (لو ٤: ١٦و١٧)، وبين يهود الشتات «(بولس ومَنْ معه) أتوا إلى أنطاكية بيسيدية ودخلوا المجمع يوم السبت وجلسوا، وبعد قراءة الناموس والأنبياء أرسل إليهم رؤساء المجمع قائلين ... إن كانت عندكم كلمة وعظ للشعب فقولوا» (أع ١٣: ١٣-١٥؛ ١٥: ٢١؛ ١٧: ١و٢ وغيرها).

لكن القسم الثالث «كِتُوفِيم» كان فيه نوع من «المرونة» حتى بين اليهود أنفسهم. فجماعة الأسينيين سكان مغارات قمران كان عندهم مجموعة من الأسفار المقدَّسة تشابه إلى حد كبير ما نعرفه من أسفار العهد القديم السبعينية. فمن هناك خرجت أجزاء من سفر يشوع بن

سيراخ تكاد تتطابق في نصوصها مع ما وُجِد في خزانة الرقوق القديمة بمجمع لعازر اليهودي بمصر القديمة في أوائل هذا القرن؛ وتاريخ مخطوطات قمران يتراوح بين القرن الأول قبل الميلاد وبعده. وهذه البراهين التاريخية القاطعة فيها الجواب الحاسم على اعتراضات العلماء اليهود في الثلاثينات من هذا القرن في اجتهاداتهم لإثبات وجود أصل سرياني تُرجمت عنه الرقوق العبرية التي وُجِدَت في خزانة المجمع اليهودي بمصر القديمة، والتي تشهد أن اليهود أنفسهم كانوا يعترفون قانونياً بأحد الأسفار المحذوفة وهو «يشوع بن سيراخ»، وإلاَّ لما أمكن قراءته في المجمع ثم حفظه في خزانة الرقوق القديمة.

وعلى نفس النمط خرجت من مغارات قمران ووادي المربعات في فلسطين أجزاء عبرية وأرامية لسفر طوبيت - أحد أسفار الأبوكريفا - تتفق مع النص المطوَّل الموجود في المخطوطة السينائية Cod. S[١]، وفي اللاتينية القديمة OL[٢].

وإن كان يهود فلسطين قد اعتقدوا بتوقف روح النبوة والإلهام الإلهي بعد عصر عزرا الكاتب، إلاَّ أن يهود الشتات كانوا أوسع أفقاً وإدراكاً[٣] حتى إنهم لم يقصروا عمل الروح القدس على الأنبياء الذين توقف تسلسلهم النبوي منذ أيام عزرا ونحميا؛ بل إن كل إنسان حكيم

---

(١) راجع صفحة ٦٧.

(٢) الترجمة اللاتينية القديمة OL تختلف عن «الفولجاتا» التي ترجمها جيروم في أواخر القرن الرابع وأوائل الخامس.

(٣) راجع ما جاء عن الخلفية اللاهوتية ليهود الشتات صفحة ٨.

- بحسب شهادة فيلو الإسكندري - ويعيش حياة تقوية فاضلة يمكنه أن يتعرف على مشيئة الله بالروح القدس. ودون مساس بما لأسفار التُّوراه والأنبياء من قداسة فائقة، هناك كتب أخرى وصلت إلى درجة الإلهام الإلهي. ويؤكد فيلو هذه الحقيقة عند وصفه لجماعات الثيرابيوتا(٤) حول بحيرة مريوط، أنهم يقضون أوقاتهم في قلاليهم ساعين نحو الكمال بدارسة أسفار التُّوراه والأقوال الإلهية الموحى بها للأنبياء، ووضع التسابيح والترانيم ودراسة سائر الكتب الأخرى(٥).

وإذا قارنّا بين قول فيلو عن «التُّوراه، وأقوال الأنبياء، ووَضْع التسابيح والترانيم»، مع قول السيد المسيح الذي جاء في إنجيل لوقا: «موسى، والأنبياء والمزامير» (لو ٢٤:٤٤)، ومع آية القديس بولس: «مكلمين بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح وأغاني روحية مترنمين ومرتِّلين في قلوبكم للرب» (أف ٥:١٩، كو ٣:١٦)، ندرك مغزى ما يعنيه فيلو من فعالية الروح القدس والإلهام الإلهي في وضع التسابيح ودراسة الكتب الأخرى.

لذلك جاءت الترجمة السبعينية غير مقيَّدة بعدد الأسفار اليهودية ولا بتقسيمها وترتيبها؛ بل اتَّبعت التبويب الموضوعي بحسب نوعيتها الأدبية متمشية في ذلك مع التقسيم الأدبي اليوناني المعاصر:

---

(٤) بحسب ترجيح المؤرخين هم امتداد للأسينيين سكان مغارات قمران. راجع ما كُتب عن جماعة الثيرابيوتا في كتاب: «التسبحة اليومية ومزامير السواعي»، فصل : التسابيح والألحان القبطية «بداية تأليف الألحان الكنسية وضبط نغماتها وأوزانها» للأب متى المسكين، طبعة سنة ١٩٩٣ صفحة ١٢٣ إلى صفحة ١٤٤.

(٥) PHILO; *on Contemp Life.*

١- أسفار موسى الخمسة.

٢- الأسفار التاريخية: يشوع، قضاة، راعوث، صموئيل، الملوك (وتضم أسفار صموئيل والملوك العبرية)، عزرا الأول والثاني (يقابلها عزرا ونحميا في العبرية).

٣- الأسفار الشعرية والتعليمية: المزامير، الأمثال، الجامعة، نشيد الأنشاد، أيوب، حكمة سليمان، حكمة يشوع بن سيراخ.

٤- الأسفار القصصية: أستير مع إضافات، يهوديت، طوبيت.

٥- الأنبياء: الاثنا عشر الصغار؛ والأربعة الكبار: إشعياء، إرميا (شاملة المراثي، وباروخ، ورسالة إرميا)، حزقيال، دانيال، (مع إضافة: تسبحة الثلاثة فتية، خبر سوسنة العفيفة، البعل والتنين).

الفوجاتا:

كان العهد القديم في الشرق المسيحي هو السبعينية. أمَّا في الغرب فكانت الترجمة اللاتينية القديمة (ورمزها OL) المأخوذة عن السبعينية دون تغيير، وهي التي كتب بها الآباء اللاتين المسيحيون مثل ترتليانوس وكبريانوس أسقف قرطاجنة الشهيد في القرن الثالث، ثم أمبروسيوس أسقف ميلانو وأغسطينوس أسقف هيبو في القرنين الرابع والخامس. وكما حدث في الشرق، نتيجة للأخطاء المتراكمة من النساخ أن اقتضت الضرورة تنقيح وتنقية ومراجعة السبعينية، تكرر هذا أيضاً في الغرب. مما دعا البابا داماسوس بطريرك روما في أواخر القرن الرابع أن يكلف القديس جيروم، بعمل ترجمة لاتينية جديدة للكتاب المقدَّس. فسافر جيروم إلى فلسطين لمعرفته بوجود اختلافات بين النصوص

العبرية وبين السبعينية سنة ٣٨٣م، وقامت بينه وبين أحبار اليهود هناك محاورات ومناقشات حول رفضهم الاعتراف بأسفار السبعينية التي بدون أصل عبري؛ ربما بسبب جهلهم بالمراحل التاريخية التي عبرت بها الأسفار اليهودية التي بين أيديهم وربما تعمُّداً منهم لتشكيكه فيما بين أيدي المسيحيين من أسفار يونانية. فقد كان لدى آباء الكنيسة منذ القرن الثاني شكوكٌ دفعتهم لاتهام اليهود بإخفاء الحقائق والأسفار الإلهية(٦).

وبدأ جيروم عمله محتفظاً بترتيب الأسفار كما هو في السبعينية لكنه استبدل نصها الذي كان تحت يديه من مكتبة قيصرية الجديدة، وهو النص الذي صححه أوريجانوس في العمود الخامس من الهكسابلا، وترجم بدلاً منه النص العبري الموجود لدى أحبار اليهود في فلسطين. أمَّا ما لم يجده عندهم فقد ترجمه من العمود الخامس من الهكسابلا ووضع له علامات ذاكراً أنه أخذها عن السبعينية. ويذكر جيروم أيضاً أنه ترجم سفر طوبيا (هكذا دعاه في الفولجاتا) من أصل أرامي غير

---

(٦) يقول يوستين الشهيد (القرن الثاني الميلادي) في حواره مع تريفو اليهودي: [... تجدني مضطراً أن أخبرك ألاَّ تصدق معلميك (أي الرابيِّين) الذين تجاسروا على تفسير شيء آخر يختلف عمَّا شرحه السبعون شيخاً في عصر بطليموس ملك مصر. هناك آيات في الكتاب المقدَّس تُظهر صراحة أن آراءهم باطلة وأنهم أغبياء، حتى إنهم تجاسروا على تأكيد ما لم تذكره الأسفار المقدَّسة ... أنا لا أثق في معلميكم الذين رفضوا ترجمة السبعين شيخاً ويحاولون ترجمة أخرى (وهي ترجمة أكيلا؛ راجع صفحة ٤٥ كما أرجو أن تلاحظ أنهم استبعدوا كتباً من التي ترجمها السبعون الذين كانوا مع بطليموس].
JOUSTIN; *Ad. Trypho* 71,72.

موجود حالياً(٧).

ورغم تحفُّظات القديس جيروم تجاه الأسفار التي لم يعثر لها على أصل عبري لدى أحبار اليهود هناك إلاَّ أن الكنيسة الكاثوليكية قبلت ترجمته وأعطتها اسم «الفولجاتا» أي «الشعبية»، جاعلة الأسفار كلها على مستوى واحد من القانونية، مستندة في ذلك إلى قرارات مجمع قرطاجنة المحلي المنعقد سنة ٣٩٧م، ومن قبله مجمع هيبو الذي حضره القديس أغسطينوس سنة ٣٩٣م، دون تمييز بين هذه الأسفار جميعها. لذلك قرر مجمع ترنت الكاثوليكي المنعقد سنة ١٥٤٦م أن: [كل مَنْ لا يعترف بجميع الكتب الموجودة في الفولجاتا يُعتبر محروماً].

لذلك جاءت إلينا الترجمة العربية الكاثوليكية من الفولجاتا، مترجمة عن الأسفار العبرية، وفي نفس الوقت تضمَّنت الأبوكريفا التي في السبعينية.

موقف الكنائس الإصلاحية (البروتستانتية) من أسفار الأبوكريفا:

كان القديس جيروم أحد الذين أطلقوا كلمة «الأبوكريفا» على الأسفار التي ليس لها أصل عبري. ولكن بقي العهد القديم في الكنيسة شرقاً باليونانية وغرباً باللاتينية دون أي اختلاف، حتى كانت ثورة الإصلاح الديني في أوروبا ضد كنيسة روما في القرن السادس عشر، بسبب ما أضافته من عقائد، على اعتبار أن الكنيسة هي المصدر

(٧) ما زالت الترجمة العربية الكاثوليكية تذكر هذه الملاحظات التي جاءت في الفولجاتا اللاتينية.

الأساسي والوحيد للتعليم. وفي المقابل، نادى زعماء الإصلاح الديني أن الكتاب المقدَّس وحده هو مصدر التعليم والعقيدة. فبسبب عقيدة المطهر، استنكر مارتن لوثر اعتماد الكنيسة الكاثوليكية على ما جاء في سفر المكابيين: «... وجَمَع (يهوذا المكابي) صدقات ألفي درهم من الفضة على عدد الرجال، وأرسلها إلى أورشليم لتُقرَّب ذبيحة عن الخطية، صانعاً صنيعاً حسناً وتقويًّا جداً، إذ كان يفكر في القيامة. لأنه لو لم يكن يرجو قيامة الساقطين لكانت الصلاة من أجل الموتى باطلة. لأنه كان يرتئي أن الراقدين بنقاوة εὐσεβείᾳ تكون محفوظة لهم نعمة جديدة. فصالح ومقدَّس هذا الفكر. فلهذا صنع هذا الفداء (= كفَّارة ἐξιλασμόν) لأجل **الراقدين لينحلُّوا من الخطايا**.» (٢مك ١٢:٤٣-٤٦)

ومن هنا نشأت في الكنائس الإصلاحية رغبة شديدة لتحديد الأسفار القانونية لاعتبارها أنها المصدر الوحيد للتعليم. فمن ثمَّ استبعدت كل ما ليس له أصل عبري وضمَّته معاً وجعلته ملحقاً للأسفار القانونية ووضعته بين العهدين القديم والجديد. وهكذا كانت تُطبع الكتب المقدَّسة في سائر اللغات الأُوروبية. وعندما بدأت جمعيات الكتاب المقدَّس تنشر باللغة الإنجليزية الترجمة المنسوبة للملك جيمس (KJV) كانت بدون أسفار الأبوكريفا أحياناً. ونتيجة المناقشات الحادة التي قامت في أوروبا حول صحة هذه الأسفار اضطرت جمعيات الكتاب المقدَّس في إنجلترا وأمريكا سنة ١٨٢٦م أن تعلن توقفها عن طبع أسفار الأبوكريفا.

وهكذا وصلت إلينا الترجمة العربية الصادرة عن جمعية الكتاب

المقدَّس خالية من الأسفار المحذوفة ومُترجِمةً أيضاً باقي الأسفار عن الفولجاتا التي أخذت عن الأسفار العبرية اليهودية.

من كل هذا نرى أن كنيسة الإسكندرية لم تكن طرفاً فيما قام من نقاش وحوار وصراع دوَّخ الغرب قروناً طويلة؛ بل بقيت ثابتة على ما تسلمته من الكنيسة الرسولية الأُولى باعتبار أن الترجمة السبعينية هي الكتاب الرسمي للعهد القديم.

وقامت في السنين الأخيرة في مصر محاولات لسد النقص في الكتاب الموزَّع بمعرفة جمعيات الكتاب المقدَّس خالياً من أسفار الأبوكريفا، وذلك بطباعة ونشر هذه الأسفار تحت عنوان «الأسفار القانونية التي حذفها البروتستانت» (بتعضيد القمص متى المسكين لمَّا كان وكيلاً لبطريركية الإسكندرية) سنة ١٩٥٤م. وأُعيد طبعه ثانية سنة ١٩٧٢م، ولكنها تحتاج إلى مقدمة تشرح المصادر العربية والقبطية التي أُخذت عنها هذه النصوص. كما صدر أيضاً في الإسكندرية الأسفار المحذوفة كما جاءت في الترجمة العربية الكاثوليكية؛ لذلك يلاحظ القارىء وجود بعض الاختلافات اللفظية بين الطبعتين، سببها يرجع إلى المصدر الذي أُخذت منه كل منهما.

الفصل السابع

السبعينية والموقف العلمي المعاصر

رغم الموقف الرسمي المعارض لكنائس الإصلاح من الترجمة السبعينية ومن أسفار الأبوكريفا، إلاّ أنه قامت حركة علمية في أوروبا أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن لدراسة السبعينية والأبوكريفا كعمل علمي بحت دون أية نزعات دينية. واتخذت اتجاهين، أحدهما يتعلق بالأبوكريفا وكان ذا تأثير على تعديل موقف كنائس الغرب الإصلاحية منها، والثاني لدراسة السبعينية لما لها من علاقة وثيقة بنصوص العهد القديم العبرية.

الموقف المعاصر للكنائس تجاه الأبوكريفا:

بدأت الأنظار تتجه لدراسة أسفارها بعدما قامت جامعة أكسفورد سنة ١٩١٣م بنشر كتاب الأستاذ R.H. CHARLES, *Apocrypha and Pseudepigrapha*؛ حيث بدأت أوروبا تكتشف مدى التأثير الأدبي والثقافي والفني على الحضارة المسيحية خلال القرون الوسطى. وأعقب ذلك قيام جامعة شيكاغو في الولايات المتحدة بنشر ترجمة أمريكية للكتاب المقدَّس الكامل للأستاذ E.J. Goodspeed أحد رواد الترجمة الإنجليزية الحديثة للكتاب المقدَّس، الذي يقول في مقدِّمة كتابه: *The Complete Bible*:

[لا يمكن القول عن الكتاب المقدَّس أنه كامل كمصدر ووسيلة

لدراسة الفن والتاريخ والأدب والديانة المسيحية بدون كتب «الأبوكريفا». فمنذ العصور المسيحية المبكرة حتى صدور الترجمة الإنجليزية المعروفة باسم الملك جيمس KJV كانت هذه الكتب ضمن الكتاب المقدَّس. وبينما تُنكر الدراسات النقدية الحديثة على الأبوكريفا أي مساواة مع الكتابات القانونية للعهدين القديم والجديد إلاَّ أنها تاريخياً وثقافياً هي جزء مكمِّل للكتاب المقدَّس].

وبدأت الكنائس تتجاوب مع آراء العلماء والمفكرين بضرورة الانتفاع بالأبوكريفا، لذلك قام مجلس الكنائس الأمريكي بتشكيل لجنة من علماء الكتاب لعمل ترجمة جديدة انتهت منها سنة ١٩٥٧م ودخلت ضمن مطبوعات جمعيات الكتاب المقدَّس الإنجليزية المعروفة بـ RSV وراجعتها ونقحتها ونشرتها سنة ١٩٩٠ باسم NRSV جاعلة مكانها بين العهدين، وإن كانت لم تصل بعد هذه النسخ إلى جمعية الكتاب المقدَّس في مصر. والخطوة الأخيرة هي بدء ظهور شروحات هذه الأسفار ضمن مجموعات الكتاب المقدَّس التفسيرية(١) كما حدث في مجموعة "Anchor Bible".

الموقف العلمي تجاه السبعينية:

بدأ التحرك العلمي تجاه السبعينية في إنجلترا وفي ألمانيا. ففي إنجلترا تمركز في جامعة كمبردج حيث قام علماؤها:

---

(١) غني عن القول أن مجموعات شرح الكتاب المقدس الكاثوليكية تتضمن شرح أسفار الأبوكريفا.

A.E. Brook, H. St. John Thackeray and N. Mclean
بنشر المجلدات من سفر التكوين سنة ١٩٠٦ حتى سفر أخبار الأيام الأول والثاني وأستير ويهوديت وطوبيت سنة ١٩٤٠، وقام رئيس لجنتها الأستاذ H.B. SWETE بعمل تعريف لها في كتابه:
"An Introduction to the Old Testament In Greek" سنة ١٩١٤ مازال حتى الآن مرجعاً لكل مَنْ يود دراسة السبعينية.

وفي نفس الوقت، كلّفت أكاديمية العلوم في جوتنجن بألمانيا مجموعة من علماء الجامعة بنشر أسفار الأنبياء نشرة علمية، فصدر: إشعياء، إرميا مع المراثي وباروخ، حزقيال، دانيال، الأنبياء الصغار، فيما بين سنتي ١٩٣٩ - ١٩٥٤؛ ثم أسفار المكابيين الأول والثاني والثالث بين سنتي ١٩٣٩ - ١٩٦٠؛ والمزامير وحكمة سليمان ويشوع بن سيراخ سنة ١٩٣١ و١٩٦٢ و١٩٦٣. وفي نفس الوقت كلّفت جمعية الكتاب المقدّس في شتوتجارت Würettemberg Bible Society الأستاذ ألفريد رالف A. RAHLFS أحد علماء جوتنجن بعمل طبعة شعبية رخيصة سهلة التداول بين الدارسين وطلاّب العلم بدون تحقيقات علمية، لكنها تستمد نصوصها من مخطوطة الفاتيكان Cod. (B) مع القراءات المغايرة في المخطوطتين الأُخرتين Cods. (S), (A)، وصدرت الطبعة الأُولى سنة ١٩٣٥ والطبعة السابعة سنة ١٩٧٢، ولا زالت حتى الآن تعتبر أرخص وأدق النصوص المتداولة لراغبي دراسة السبعينية.

ولا يفوتنا أن ننوِّه هنا عن الطبعة اليونانية المصحوبة بترجمة إنجليزية في نهرين: Septuagint Greek and English Old Testament

with the Apocrypha، والتي صدرت في القرن الماضي ولكنها لا تزال تطبع في أمريكا وإنجلترا.

ونظراً لأهمية الدراسات القائمة الآن عن الترجمة السبعينية بالنسبة لتحقيق نصوص العهد القديم، فقد صار لها منذ سنة ١٩٦٩ منظمة دولية لنشر الأبحاث والدراسات وعقد المؤتمرات عُرفت باسم: International Organization for Septuagint and Cognate Studies، واختصارها (IOSCS)، تصدر عنها مجلة دورية سنوية تحمل آخر أنباء وأبحاث أعضائها، وتضم أيضاً علماء يهود من الجامعة العبرية في إسرائيل بعدما تيقنوا من قيمة السبعينية في معرفة مصادر النص الماسُّوري التقليدي لدى اليهود.

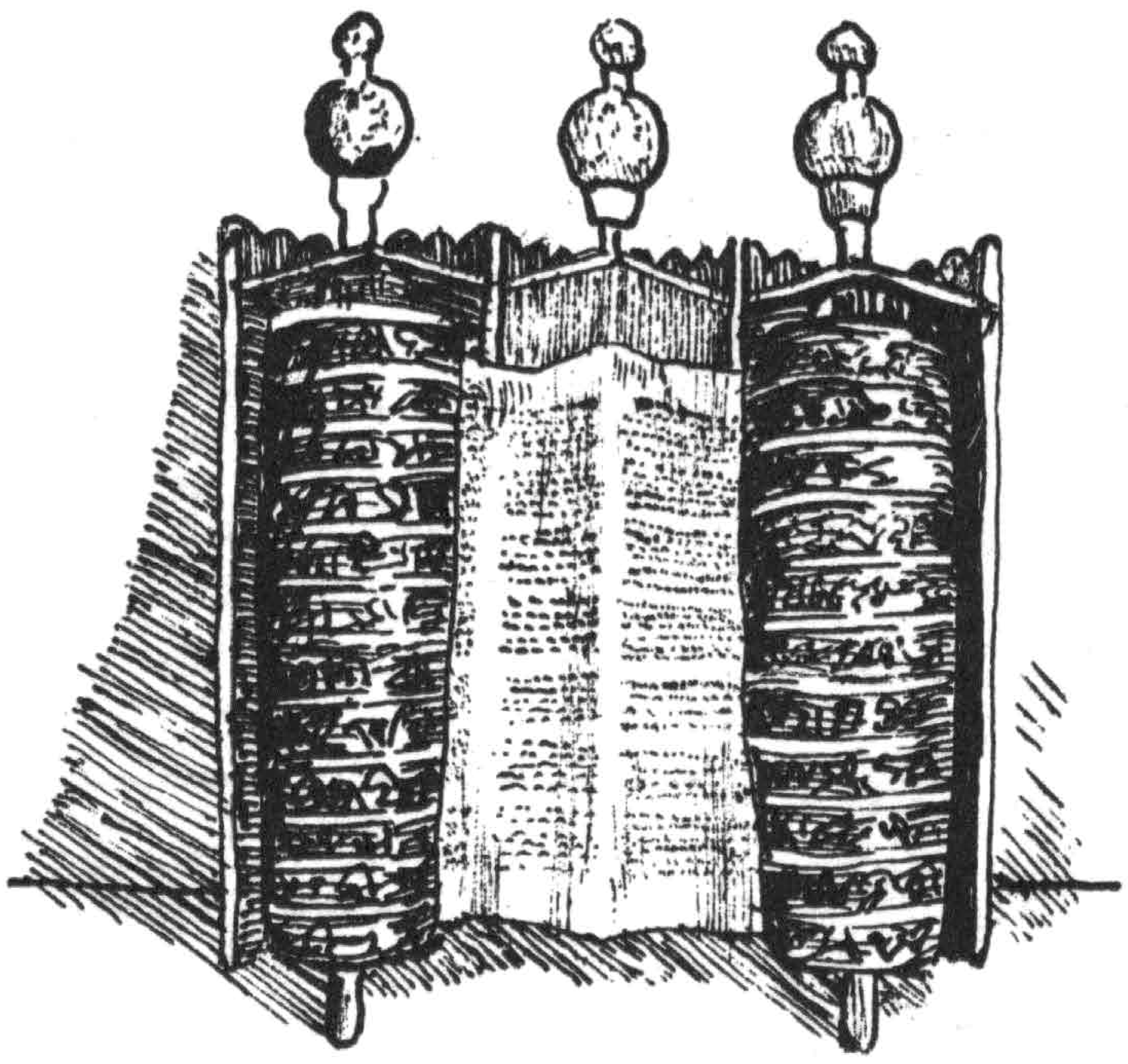

الخاتمة

أهمية السبعينية عندنا ككنيسة قبطية

ورثت الكنيسة عن المجمع اليهودي اليوناني الثقة الكاملة فيما قام به المترجمون الإسكندريون، حتى إنه لمَّا قامت حركة المعارضة ضد هذه الترجمة من قِبَل يهود القرن الثاني الميلادي، تمسك بها آباء الكنيسة بمشاعر متزايدة من التقوى والإيمان في سلطانها الإلهي معتقدين بما فيها من إلهام لا يقل عن الأصل العبري، معلِّلين الاختلاف بين السبعينية وبين النص العبري أنه لا يرجع إلى خطأ في الترجمة أو النقل؛ بل هو تعديل وتصحيح إلهي استلزمه الوحي لكنيسة المستقبل(١).

تحت هذه الظروف كانت الترجمة السبعينية قوة مؤثرة على الأدب

---

(١) يعبِّر القديس أغسطينوس عن هذا الموقف، رغم أنه يكتب باللاتينية، قائلاً:
[في الكنائس الأكثر تقدماً في العلم (يقصد الكنائس الشرقية وقتئذ) عندهم أن السبعينية تُرجمت بمعونة الروح القدس ... وإذا وُجد شيء في المقابل العبري يختلف عمَّا ترجمه السبعون، فعلى ما أظن ينبغي أن نُحنِي رؤوسنا أمام التدبير الإلهي لما تمه بواسطتهم. فأسفار الأمة اليهودية المرفوضة بسبب عثرتهم الدينية أو سوء نيَّتهم قد انتقلت إلى شعوب أخرى وسُلِّمت إلى الأمم المدعوة للإيمان بربنا قبل مجيئه. ولذلك تمكَّن السبعون من الترجمة بأسلوب استحسنه الروح القدس الذي حثَّهم وأعطاهم أن يكونوا صوتاً واحداً ... وكما كنت أقول أن النص اللاتيني للعهد القديم في حالة الضرورة ينبغي أن يصحح بحسب اليوناني الموثوق به].

De Doctrina II: 15,22.

والفكر المسيحي من البداية، حتى إنه لا يصح اللجوء إلى أي نص آخر بخلاف السبعينية حتى ولو كان النص العبري. ولم يتخلَّ قط عن هذه العقيدة كل مَنْ كان له معرفة بالعبرية مثل أوريجانوس. وحتى جيروم بعد ما تمعَّن طويلاً في الأمر واستقر على ترجمة العهد القديم من الأسفار العبرية إلى اللاتينية بدلاً من ترجمتها من السبعينية، كان عمله موضع انتقاد(٢). وأغسطينوس رغم تعاطفه مع جيروم إلاَّ أنه لم يوافقه على الحط من قيمة السبعينية.

وعلى ذلك تُعتبر الترجمة السبعينية وجميع بناتها من الترجمات الأخرى الآخذة عنها مثل القبطية واللاتينية القديمة (OL)، ذات صبغة إلهية قانونية وذات أثر واضح في الكنيسة. فهي الأساس الذي قام عليه المنهج العملي في تكييف وصقل المجتمع المسيحي والروحانية الدينية. فالتشديد على فعل الرحمة والصدقات في عظات ذهبي الفم يعتمد على آية سفر طوبيت: «الصدقة تنجِّي من الموت. وهي تطهِّر كل خطية» (طو ٤:٧و١١؛ ١٢:٩). وما اصطلحنا على تسميته باسم أركان العبادة الثلاثة: الصوم والصلاة والصدقة، مصدره آية طوبيت أيضاً: «صالحة هي الصلاة مع الصدقة والصوم» (طو ١٢:٨). ثم مشهد الفتية الثلاثة وهم في آتون النار يسبحون الله سيبقى خالداً في ذهن كل قبطي، إذ يستمد منه قوة على الصمود في التجارب والمحن التي ستنال كنيسة آخر الزمان.

والحقيقة أن هناك أمثلة كثيرة تستخدمها الكنيسة القبطية من

---

(٢) نلمح ذلك من مقدمته للأناجيل التي يخاطب فيها البابا داماسوس بطريرك روما، ومن أقوال القديس أغسطينوس التي جاءت في هامش رقم (٢).

السبعينية لخدمة أولادها وتثبيت إيمانهم بالمخلص الرب يسوع المسيح. فإذا اتجهنا إلى الطقس والليتورجيا والخدمة الكنسية نرى الكنيسة زاخرة بأساليب الترجمة السبعينية، والمقارنات التالية تؤكد صحة هذه الحقيقة:

الكتب الطقسية	السبعينية
«سبقت عيناي وقت السحر لأتلو في جميع أقوالك.»	«ليكن معلوماً للجميع أنه ينبغي أن نسبق الشمس لنشكرك ونبتهل لك.»
(قطعة باكر من الأجبية)	(حك ١٦:٢٨)
«بالقطع انقطع ماء البحر، والعمق العميق صار مسلكاً. أرض غير ظاهرة أشرقت عليها الشمس، وطريق غير مسلوكة مشوا عليها. ماء منحل وقف بفعل عجيب مُعجز. غرق فرعون ومركباته. وعبر بنو إسرائيل البحر.»	«وظهر من البحر الأحمر طريق غير معوَّق، وبقعة يانعة من غمر عميق. فيها عبرت الأمة كلها مستورة بيدك. أما شعبك فعبر مسلكاً معجزاً. أما أولئك فوجدوا موتاً غريباً.»
(من لُبش الهوس الأول)	(حك ١٩:٦-٨)
«نتبعك بكل قلوبنا ونخافك ونطلب وجهك يا الله فلا تُخزنا. بل اصنع معنا بحسب دعتك وكثرة رحمتك يا رب أعنَّا. لتصعد صلاتنا أمامك يا سيدنا مثل محرقات كباش وعجول سمان.»	«نبتغيك بكل قلوبنا. ونتَّقيك ونطلب وجهك فلا تُخزنا. اصنع معنا نظير دعتك وككثرة رحمتك. فلتكن ذبيحتنا أمامك اليوم حتى ترضيك، فإنه لا يخزى الذين يتوكلون عليك. لكن بنفس منسحقة وروح متضعة اقبلنا كما بمحرقات كباش وثيران وربوات خراف سمان.»
(مديح يُقال باللحن للثلاثة الفتية القديسين)	(من صلاة عزارياس في وسط النار)

▪ وجميعنا نرى ما يحدث في الكنيسة عند بدء صلاة الإكليل المقدَّس، نرى والد العروس (أو أقرب الأقرباء بعده) يأخذ بيد ابنته يقودها داخل الكنيسة إلى أن يصل بها إلى منصة الإكليل فيسلمها هناك إلى العريس؛ هذا تماماً ما صنعه رعوئيل أبو سارة:

+ «أخذ (راعوئيل) يد ابنته سارة وسلَّمها إلى يد طوبيا قائلاً: إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب يكون معكما، هو يجمعكما، ويكمِّل بركته فيكما.» (طوبيا ٧:١٥)

ومن صلاة الصلح في القدَّاس الباسيلي:

السبعينية	صلاة القداس
«الله خلق الإنسان في عدم البلى، وصنعه على صورته. وبحسد إبليس دخل الموت إلى العالم.»	«يا الله العظيم الأبدي الذي جبل الإنسان على غير فساد. والموت الذي دخل إلى العالم بحسد إبليس هدمته.»
(حك ٢:٢٣و٢٤)	(صلاة الصلح)

والحقيقة أن موضوع تأثر الكنيسة القبطية بالعهد القديم السبعيني موضوع طويل متشعب، ولم نتلامس معه إلاَّ في القليل من الأمثلة، لكن بلا شك يحتاج إلى دراسة مستفيضة تمكِّن القارىء من التعرُّف على الأصول الروحية والطقسية الليتورجية التي استمدتها الكنيسة من هذه الأسفار. بل إن جميع الآباء المعلمين الروحانيين في الكنيسة الجامعة، مثل القديس باسيليوس والقديس يوحنا ذهبي الفم، كانت شروحاتهم ومبادؤهم الروحية تستند على شهادات من الترجمة السبعينية. والآباء اللاهوتيون العظام في الكنيسة القبطية، مثل القديس أثناسيوس الرسولي والقديس كيرلس الكبير، كان العهد القديم الذي

يرجعون إليه في مجادلاتهم مع الهراطقة هو السبعينية. والذين رتّبوا الطقوس ونظام القراءات والتعاليم في الكنيسة كانت السبعينية بأسفارها التي حُذِفَتْ في الترجمات الحديثة المتداولة، هي المصدر الأساسي الذي عليه بنوا أنظمة العبادة والليتورجيا، ابتداءً من دخول الكنيسة والواجبات التي على المصلّي أن يعملها إلى وقت انصرافه منها.

وبإيجاز، نقول إن دراسة «الآباء» Patrology لمعرفة مبادئهم ونسكهم ولاهوتهم يقتضي الاهتمام بمطالعة ودراسة السبعينية باعتبارها المادة الخام التي صاغت منها الكنيسة القبطية روحانيتها ولاهوتها وطقسها.

وفي الختام يجدر بنا أن نستشهد بقول للأب متى المسكين في مقدمة كتابه «الإفخارستيا والقداس»، إذ ينبهنا قائلاً:

«إن خطر العبادة الطقسية عندما تكون باستهتار وجهالة وغير مفهومة ولا مشروحة على مستوى لاهوتي، هو أن هذه العبادة الميِّتة تتحكم في تصوير الكنيسة وإعطائها شكلها ومضمونها اللاهوتي بمستوى الضعف الذي تتم به العبادة. بمعنى أن الكنيسة تصير في أذهان الشعب وفي مظهرها الكلي لا تزيد عن حجم هذه الطقوس المستهترة الميتة في ذهن قائلها وسامعها، والعبادة الصورية غير المفهومة وغير المشروحة. ولا يفيد هنا مقدار حبنا للكنيسة أو مقدار تمسكنا بالتقليد والتراث، لأن الإيمان الذي ينقصه الوعي يضعف ويهتز ويكون قابلاً للشك والاضمحلال».

(الإفخارستيا والقداس صفحة ٢٠)

صدر من مجموعة
مقالات مسلسلة سبق نشرها في
مجلة مرقس

✠✠✠

- الصلاة الربانية وشروحاتها عند الآباء
- شخصية الكاهن عند الآباء الملقبين بالأقمار الثلاثة
- العظة على الجبل وشروحاتها عند الآباء
- الروح القدس وحياة النسك عند القديس أنطونيوس وآباء البرية الأوائل
- التبني في المسيح يسوع في فكر آباء الكنيسة
- الكنيسة جسد المسيح في تعاليم القديس كيرلس الكبير
- تربية الأطفال في تعاليم القديس يوحنا ذهبي الفم
- شهيد السراديب: قصة عن روما القديمة
- المسيح في صومه وصلاته من أجلنا
- العهد القديم كما عرفته كنيسة الإسكندرية
- وجودنا وكياننا في المسيح يسوع
- المسيح في حياته المقدَّسة من أجلنا وآلامه وموته وقيامته وصعوده وكهنوته الأبدي
- الأُبوة الروحية عند آباء البرية

(تتبع نشر مقالات مجلة مرقس المسلسلة في كتب منفصلة)

تُطلب من:

دار مجلة مرقس

القاهرة: ٥٠ «أ» شارع شبرا – ت: ٧٧٠٦١٤

الإسكندرية: ١٣ شارع الشهداء – المنشية